لصاحبة السمو الاميرة الجليلة قدرية حسين

سوانح الأميرة

تعريب

عبد العزيز أمين الخانجي
بوزارة الداخلية

(الطبعة الأولى)

يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي
لصاحبها مصطفى محمد

طبع بمطبعة السعادة

كلمة المعرب

يهمني أن أقدم هذه السوانح المكتوبة بقلم حضرة صاحبة السمو أميرتنا المصرية الجليلة القدر كذكرى لنهضة مصر النسائيـة التى ظهرت بوادر خيراتها إبان نهضتنا السياسية .

أقول هذه الكلمة ولا مناص لى من اظهار الأسف لقلة الأثار الأدبية المصورة لحالتنا الروحية ونحن فى هذا الدور الجديد ، دور الانتقال من حالة لأخرى . ففى الوقت الذى يتصفح فيه أحفادنا الآثار الأدبية التى ظهرت فى عالم المطبوعات فى هذه الفترة ، فترة التجدد والانتباه ، سيجدون أكثرها مقفرة خالية من الصور الحقيقية التى تنم عن الروح العالية التى ظهرت بها أمتنا المصرية .

عندما يأخذ المؤرخون يوماً ما فى تحليل حالتنا الروحية والفكرية فى فترتنا الاجتماعية هـذه فسوف لا يجـدون

فى آثارنا ومؤلفاتنا الوثائق اللازمة لتصوير الحالة تصويراً تاماً.

كل أمة من الأمم غنية بآدابها وأشعارها المكتوبة فى أوقات تجددها وانتباهها لأن هذه الأوقات هى موسم القول والكتابة والتفكير للكاتب والشاعر والفيلسوف، وحرام على حملة الأقلام والمفكرين أن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام عواصف السياسة والاجتماع التى تهب على أمتهم فى مثل هذه الظروف .

أنا لا أنكر أن فريقاً من كتابنا وشعرائنا قاموا بما يجب عليهم سواء بالكتابة فى الصحف اليومية أو بنشر الرسائل والمؤلفات التى تنم عن روح مصر فى هذه الأيام ، غير أن ما كتب فى ذلك قليل لا يشفى الغليل ، لا سيما المؤلفات الدالة على نهضتنا النسائية فانها نادرة جداً لا تتجاوز الاثنين أو الثلاثة .

لا يمكن إنكار ما للنساء فى عصرنا الحاضر من الأثر البين فى رقى الأمم . إذ أن أثرهن فى رقى العصر الحاضر لا يقل عن أثر الرجال فيه .

وكل انسان ينظر الى هذه النظرية بعين (الازدراء) ولا يضع نعسب عينه الوصول بأمته الى مستوى الرقي من هـذا السبيل — بقدر ما تسمح حالتنا الاجتماعية — خليق بأن يوضع اسمه فى قائمة المحافظين ، الذين لا يودون لأمتهم الرقي والفلاح .

يؤلمنى بأن أقول أن طراز معيشتنا الحالية لا تتفق مع روح العـدل والانصاف فاننا معشر الرجال أنانيون نحو نسائنا الى حد غير محمود . فالنساء عنـدنا محرومات من لذة الاشتراك معنا فى المساعى الحيوية ، بعيدات كل البعد عن الوقوف على مدهشات المدنية ورقى عصرنا الحاضر ، واجبهن فى الحياة الاجتماعيـة أن يكنّ لعباً فى أيدى الرجال ، لعباً يحتفظ بها فى أوقات جدتها ثم تحطم أو تلقى فى زوايا الاهمال والنسيان فيما بعد .

وقد اعتدنا على هـذا النوع من العيش وأنسنا به كل الأنس حتى أصبح الرجـل منا اذا رأى أن امرأته جميـلة وولودة اكتفى بهاتين المزيتين ولم يطلب المزيد .

اذا انا اليوم رفعت صوتي الضعيف منددا بهذه الحالة فليس ذلك معناه ، أنني أريد لنسائنا أن يطفرن طفرة يصلن بها الى مثل الحالة النسائية التي عليها نساء الغرب في يومنا هذا ، لان مثل هذه الأمنية ضرب من المحال لما بيننا وبين الوصول الى تلك الغاية من الحوائل والموانع . وكل ما أطلبه اليوم هو انتشال المرأة من حالة الجمود الغارقة فيه بقدر الامكان . والوصول الى هذه الغاية لا يأتي الا من طريق تعويد الناشئات من بناتنا على التفكير وتربية ملكات الفهم والذوق فيهن بالوسائل العلمية . لا يكفي أن نرى بين ظهرانينا فاضلة أو فاضلتين يشتهرن في عالم الأدب ، بل يجب أن نعمل على توسيع دائرتي العلم والعرفان بين بناتنا حتى نطمئن . ونعلم بأننا واقفون على الدرجات المؤدية الى الرقي حقيقة .

علينا أن نعمل على اكثار مدارس البنات وتهذيب أصول التربية والتعليم التي تطبق في تلك المدارس اذ لا جدال في أن الأصول المتبعة الآن هي من بقايا الأصول البالية التي كانت تطبق في القرون الوسطى . والا فمن منا ينكر بأن

البنات فى مصر لا يستفدن من المدارس سوى قشور من العلم لا تجدى ولا تنفع . هذه حقيقة يقرنى عليها الواقفون على الحقائق ، الناظرون فى أحوال التعليم نظرة انصاف وعدل .

الا أن الأمر لايوجب القنوط واليأس الى حد أن نتقاعد عن سبيل الاصلاح فاننا ولله الحمد فى إبان نهضة نسائية تبشرنا بحسن المستقبل واقبال شباننا على تعضيد هذه النهضة يبعث فينا قوى الآمال ، فاننى ما كدت أتقدم الى اخوانى المصريين بكتابى « الخواطر » و « السراب » حتى تهافتوا عليهما أيما تهافت فطبع كل منهما طبعتين فى بحر سنة واحدة

ازاء هذا التشجيع رأيت اليوم أن أتحفهم بسوانح سموها ، وهى مقالات مختارة من كتاب « تموجات أفكار » المطبوع باللغة التركية . والطريقة التى سرت عليها فى جمع هذه السوانح هى ترجمة المقالات المكتوبة عن مصر ولمصر .

بقى لى أن أشكر سيدى وولى نعمتى حضرة صاحب

السعادة الاستاذ احمد زكى باشا الذى تفضل على باعارة النسخة التركية من خزانته الزكية أدامها الله عامرة بوجوده لينفع مصر بعلمه وعمله والله أسأل أن يعيننا جميعاً على مافيه انهاض مصر انه عليم بالنيات .

القاهرة ١٠ نوفمبر سنة ٩٢٠

عبد العزيز أمين الخانجى

النور

مهداة الى قبر جدى الاكبر ساكنه الجنانه

الفصل ربيع ، والعالم أجمع مغمور فى لطافته ونعومته أما الوقت فكان مساء ، وكنت اذ ذاك جالسة على سطح سفينتنا المسماة « فيض ربانى » الراسية أمام (قصر الدوبارة) أشنف السمع بنغمات النسيم . وكانت الكواكب العديدة المتألقة فى كبد السماء تعكس أشعتها على سطح النيل لتؤلف خطا من النجوم تتلألأ كالجواهر النفيسة على صفحة تلك المرآة الصافية .ـ

كانت الليلة ساكنة وكل ماحوالى فى سكون وصموت ولولا أصوات الدعاء والابتهال التى ينقلها الأثير الى مسمعى من حين لآخر لخيل لى أن العالم مسترسل فى النوم . أما المصابيح التى على جسر قصر النيل ، الممتدة كسلسلة من النور على طول الطريق المؤدى الى الاهرامات فكنت

أرى شعاع أنوارها على النيــل كسطور من الذهب نمقتها يد كاتب متفنن على صفحة بيضاء .

ربما كانت هذه الليلة تفضُل أياماً عديدة لأنها كانت فى نظرى زاهيــة زاهرة مملوءة بالأسرار والخيالات . وكان النسيم يلاعب أشجار الحـدائق القريبة منا فتمايل كالمروحة على شجيرات الورد والياسمين لتنشر فى الفضاء أريجها وكنت كلما صوبت النظر الى ظلال تلك الأشجار ظننتها حراساً تخفر شاطئ النيل فى سكون الليل .

إن النجوم وهى تتمتع بمرأى هذه الليله الجميلة تشرف أيضاً على أماكن أخرى وتعرض محاسنها بلا شك على صفحات أنهر غير النيل ولـكن ألا تظن معى أيها القارئ أنها تفضل سطح النيل الرائق على كل مرايا العالم ؟

فى هـذه الليلة المباركة تجتمع كلمة المسلمين من كافة أنحاء العالم لأمر واحـد وتتجه نفوسهم بشعور واحـد الى الدعوة والاسترحام ولو لمدة وجيزة . وانك لتجدهم فى هذه الليلة سكارى وماهم بسكارى ، غارقين فى حلم معنوى وقد

هدأت ضربات قلوبهم .

فى هذه الليلة المباركة تقام الشعائر الاسلامية باجلال واعظام فى كافة المساجد من أقصى المعمورة لأقصاها ، وفى هذه الليلة تسطع الاضواء من على المنائر ببهجة واشراق. كل هذا احتفاءا بالليلة التى ولد فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

كل المآذن الواقعة على مد بصرى كانت مزينة بالأنوار ترفل في ثياب من البهجة والاشراق ، الا أن مأذنتى جامع جدى الاكبر محمد على ، تمتازان عليهن بما يبدو على زينتها من روعة وجلال ، اذ أن الشرفات المحيطة بهاتين المأذنتين المائستين كانت تلمع فى وسط السماء كأربع من الأسورة المرصعة بالجواهر الساطعة . وما كنت أرفع بصرى نحوهما إلا وتمتلئ جوانب نفسى بالعظمة والاجلال .

هاتان المنارتان المرتفعتان نحو العلاء بذلك القد الرشيق كأشجار السرو ، هما ميزة ذلك الجامع الجليل الشأن ، اذ يجذبان الانظار من ابعاد شاسعة ، ويستقبلان الغرباء

القادمين الى مصر من دروبها المختلفة المؤدية اليها ، بالتأهيل والترحيب .

كانتا منتصبتين فى الفضاء كالتمثال ، يراهما القاصى والدانى ويشاهد قديهما المائسين ، الواقف عند أطراف الصحراء المتوجهة رمالها توهج التبر ، ويبصرهما المشرف على مصر من أعلى ذروة فى جبل المقطم ، كما كان الواقف على سطح النيل المزركش يتمتع أيضاً انظاره بمرآهما . وان العين لاتمل النظر اليهما وقت أن تأذن الشمس بالمغيب ، حيث ترسل الغزالة عليهما خيوطها الذهبية الدقيقة ، فيظهران فى تلك اللحظة كلوحة بديعة نقشتها الطبيعة بمزيج من ألوانها المفرحة الآخذة بمجامع القلوب ، فلا يسع الرائي عندئذ الا أن يرمق ذلك العرش السحرى بعين الاجلال والتعظيم .

محمد على ، وما أدراك مامحمدعلى ! وانها لسعادة كبرى لمن كانت مثلى أن تقلب الطرف فى صفحات التاريخ ، باحثة عن حسنات ذلك البطل ، نافخ روح العلم والنور فى

مصرنا العزيزة . ولكن ما العمل وأنا لا يسعني الا إظهار الأسف لعجز يراعتى عن بلوغ هذه الأمنية ! لأ نني أعلم تماماً أن الكتابة عن حياته المملوءة بالأسرار والمعجزات فى حاجة الى قلم كاتب خطير وتحقيقات مؤرخ قدير .

ان ذكراه لتمر الآن من أمام ناظرى كسيارة لامعة وأنا أحدق النظر فى المنارتين ، ورؤيا جامعه الشريف يعيد الى الذهن اسمه الكريم تحف به آيات الحفاوة والتقديس .

وهذه الكلمات الصادرة من أعماق قلب تهتز أوتاره باحترامه واجلاله ، أقدمها اليوم الى أنواره الساطعة كذكرى لهذه الليلة الساحرة .

ذلكم الباطل الخالد الذكر ، صاحب العزمات الماضية والأفكار العالية والآمال الكبار ، هو أول من نشر المدنية الحديثة في مصر ، وأول من أيقظ البلاد من نومها العميق ، وأول من أخذ بيدها الى سبل السعادة ومناهج الحياة الصحيحة . عاش فى صباه أمياً لا يعرف القراءة

والكتابة لكنه كان سراج أمتـه ، أبدل ظلامها نوراً ، فانتعشت على يديه روح المعارف والفنون . وبفضل مساعيه اتسعت دائرة الصناعات وتقدمت الزراعة وارتقت، أساليب التجارة .

في عهده الزاهر ، بدىء بزراعة القطن وقصب السكر وهما الدرتان اللامعتان في تاج الزراعة المصرية ، وبذلك خطت مصر خطوتها الاولى في سبيل الرقي والفلاح . وإن التاريخ لن ينسى مجهوداته الـكبرى في سبيل تنشيط الصناعات وما كان لمصانع الأقمشة الصوفية والحريرية ومعامل الزجاج المنشأة في عهده من الأثر البين في تجديد حبل المواصلات بين مصر وأوروبا .

المدارس الحربية ومعاهد الفنون والعلوم المؤسسة في عهده من طب وهندسـة وادارة من أكبر المظاهر الدال على اهتمامه بتشجيع وسائل العلوم والفنون .

أراد أن يستفيد من فيضان النيل السنوى والايد تلك المياه العذبة ، وفيها اكسير الحياة لأرض مصر ، تذهب

هباء، فوجه همته العاليـة الى تقسيمها على الأراضى بطرق فنية مما زاد الخير والنماء في محصول البلاد . ونظر بعد ذلك الى النيـل فى أوقات الفيضان فألفاه جاريا على غـير نظام ، يغمر الأراضي والقرى المرتفعة ويتركها جزرا يتعذر الوصول اليها لاحاطة المياه بها من جميع جهاتها ، فضـلا عما يصيب الأهالى من الخوف والقلق خشـية طغيانه ، فأمر بانشاء القناطر الخيرية عند مفترع النيل وبذا خلص البلاد من أكبر الويلات والشرور .

كانت المماليك حين ذاك شعلة فتن ودسائس يخشى منهم على حكومته المشروعة ، فدبر لهم تلك المكيدة التى قطعت دابرهم فانتهت المشاحنات والمنازعات بانتهاء أمرهم وعاد الأمن الى نصابه مرة أخرى . وبعد ان خلص البلاد من شر فتنهم أخذ يبذر بذور الائتلاف والاتحاد بين العناصر المختلفة فى مصر ، فجمع كلمتهم وألف بين قلوبهـم . ثم اهتم بعد ذلك بتحسين الحالة الاقتصادية ليوطد عرش ملـكه على مهاد الراحة والطمأنينة .

وقد اهتم بترقية الجيش من الوجهة الفنية ، فأحضر مهرة الأساتذة من أوروبا لتدريب أتباعه ومريديه الذين كان يرسلهم للصعيد بعد اتمام تعلمهم حيث كانت مهمتهم تشكيل فرق جديدة من العساكر النظاميه والمتطوعة . ولكى يأمن شر عساكره اللانظاميين فتح لهم أبواب الحرب في مجاهل السودان وكان كل ما قل عديدهم فى القاهرة سد نقصهم من الفرق النظامية المتدربة بأسوان.

فكر بعد ذلك فى ايجاد اسطول لمصر وتعزيز الحامية بفرق الهجانة، الأمر الذى كان له أحسن أثر فى انتصاراته على الوهابيين الذين عاثوا فى الأراضى المقدسة فساداً ، واستفحل خطرهم لدرجة أنهم داسوا على حقوق المسلمين فى الحرمين الشريفين ووقفوا حجر عثرة فى سبيل أدائهم فريضة الحج. فما كاد يصدر اليه الأمر السلطاني بتأديبهم حتى أخذ فى إعداد الأخشاب اللازمة لعمل السفن فى بولاق ومن ثم أمر بنقلها الى السويس لبناء الأسطول الذى أقل العساكر المصرية الى ارض الحجاز وبذلك تمكن

من التغلب على تلك الفرقة الظالمة .

كان رحمه الله متصفاً بالشهامة والذكاء يضع الاشياء في مواضعها ويقدر لكل امر قدره وكان مجلسه على الدوام حافلاً بكبار اهل العلم ورجال الفضل والعرفان وكان يستفيد من فضائلهم ويسترشد بهديهم في معضلات الأمور فضلاً عن المجهودات التي بذلها في سبيل تنوير اذهان الأمة بنور العلم .

وبفضل الشجيرات المتنوعة وبذور النباتات المختلفة التي تعب كثيراً في سبيل احضارها وزرعها في اطراف المملكة اصبحت مصر جنات تجري من تحتها الأنهار .

لم يفته رحمه الله قول النبي صلى الله عليه وسلم « ساعة من عالم متكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاماً[١] » فبذل جهده في سبيل تنوير أذهان الأمة بنور المعارف وتزيين ربوع البلاد بشارات العلم .

وكان من صفاته الشخصية الشهامة والذكاء ومن

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن جابر

خصائصه أن يضع الأشياء فى مواضعها ويقدر لكل أمر قدره . أما مجلسه فكان على الدوام حافلا بكبار أهل العلم ورجال الفضل والعرفان يستفيد من فضائلهم ويسترشد بتجربيهم فى الحياة كما أسلفنا

عند شبوب نار الثورة اليونانية فى بلاد المورة كان شبله الأكبر ابراهيم باشا على رأس الجنود العثمانية يقودها الى مواطن الظفر والفخار ونظراً لاخلاصه وهمته العالية التى ظهر بها فى هذه الحروب لم يكتف السلطان بتشريف قدر محمد على الكبير بالدعاء له فى احدى الفرمانات بقوله :

« أبقاك الله لى وللأمة »

بل أهدى اليه ولابنه الأكبر سيفين مرصعين بالجواهر تلطيفاً لهما . وأعقب هذه الثورة اندلاع نار الفتن فى كريد فتكفل بها ابنه الأكبر ابراهيم باشا أيضاً الذى تمكن من قمعها وتهدئة الخواطر فيها بمدة صغيرة .

عرفت الدولة لمحمد على هذه الخدمات الصادقة وقدرتها حق قدرها فوجهت اليه ولاية جدة واليمن وكريد

فى آن واحد . الا أن هذه التلطيفات السامية التى نالها محمد على الكبير بفضل مساعيه وأعمال ابنه الأكبر ابراهيم أحفظت عليه صدور رجال الدولة وحركت فى نفوسهم عوامل الحقد والحسد مما سبب حادثة (الشام) المشئومة ولكن لم تمض مدة كبيرة حتى اصلح الزمان ما أفسده الحسد وأسدل نقاب النسيان على تلك الحادثة فعاد محمد على الى اخلاصه وعادت التلطيفات السلطانية الى مجراها السابق .

كان غيوراً على نفع مصر متفانياً فى محبتها يدلك على ذلك أنه لم يكد يسمع بوجود معادن الذهب فى سنار حتى تكبد بنفسه مشقة السفر الى مجاهل السودان على ظهور الابل بغية الاستكشاف والاستطلاع وحباً فى اسعاد مصر رغم ما كان يعانيه من آلام الكبر .

وبالاجمال أرانى مهما أسهبت لا أستطيع وصف عمل من أعماله الكبيرة من كل الوجوه وصفاً يستكمل الأعراض ويستوفى الأجزاء وان المتصدر لترجمة ذلكم البطل الخالد الذكر ، الجامع فى رأسه ذكاء رجال عدة ،

أحربه أن يكون ملما بعظمة الأيام السالفة وما بها من مظاهر الأبهة والوجاهة وكذلك بجميع الصفات والمزايا التى يجب أن يتحلى بها كبار رجال التاريخ ليمكن له أن يأتينا بصورة صحيحة من شخصيته وجلائل أعماله .

وكل ما أستطيع اثباته الآن هو أن عصر محمد على كان عصر تدبير وقوة وان شخصيته كانت فذة عميقة لم يسبر غورها تماماً بعد .

فى مبدأ حكمه كانت معارفه العلمية ضئيلة وتجاريبه فى الحياة قليلة ومع ذلك فقد تمكن فى مدة قصيرة من انتشال البلاد من وهدة الاحتضار وايصالها فى بضع سنوات الى أوج السعادة والاقبال بعد أن فهم حاجاتها ولوازمها وكساها بثياب العلم والنور .

فى عهده فتحت أبواب الرزق على مصراعيها وفي زمنه مهدَ السبيل لاشراق شمس المدينة على ربوع هذه البلاد ، الأمر الذى أدى الى رقيها السريع ونجاحها الباهر . ولو ان الخلف اقتفى أثره فى سبيل اصلاحاته وحافظ على

محاسن آثاره ، فمن يدرى الى أى حـد كانت تصل سعادة مصر المادية وفى أى درجة من العز والاقبال تكون حياتها المعنوية ؟

عند زيارته الأخيرة لعاصمة الاسلام ارتاحت نفسه الكريمـة الى رؤية الجامع المعروف (بنور عثمانى) ووقع شكله المعمارى من نفســه موقع الرضى والاستحسان فأمر عنـد عودته الى مصر ببناء جامع يماثله فى الشكل والهيئة واختار له مكاناً فى القلعـة التى بناها صلاح الدين الأيوبى إلا أن الأيام لم تمهـله ليرى الجامع الذى أمر ببنائه فقـد أغتالته المنية قبل اتمامه بعـد أن سلخ خمساً وأربعين ربيعاً قضاها فى سبيل اسعاد مصر، فدفن فى الجهة اليسرى من جامعه المذكور رحمه الله رحمة واسعة .

فى نفس العصر الذى عاش فيه محمد على ولعب دوره الخطير على مسرح التاريخ كان يعيش عظيم آخر من عظماء التاريخ هو نابليون الأكبر ، فخر فرنسا وأكبر علم فى تاريخها ، تدرب هـذا القائد فى مدارس فرنسا الحربية ثم

أظهر نبوغه وعبقريته فى جملة وقائع استولى فيها على أهم العواصم الاوروبية وجعل نفسه الحاكم المطلق لا على فرنسا فقط بل على نصف أوروبا ، وبذلك خلد لنفسه ذكرى دائمة محفوفة بالمجد والعظمه فى طيات التاريخ . الا أن تاج المجد الذى تقلده كلف وطنه فرنسا ثمناً غالياً هو خرابها وانحلال قواها لمدة سنين . وتلك العظمه الكاذبة التى تربع على عرشها كانت واهية الأساس لم ترد عنه عادية النفى وتحمل آلام الغربه فى جزيرة تبعد مئات الأميال عن أرض فرنسا .

أما محمد على فقد كان مناط أمله توطيد ملكه على أساس ثابت وكانت همته موجهه بالأكثر الى راحة مصر فى مستقبل أيامها ولذلك كان أهم عمل له هو وضع حد للفتن والدسائس وتطهير مصر من أمراضها المزمنة ، وان التاريخ ليسطر له بالفخر والاعجاب أنه ماانتقل الى رحمة الله الا بعد أن مهّدَ السبيل الى اسعاد مصر فتقلد خلفه زمام الادارة ، وهى على أتم نظام وترتيب .

فلو أراد ناقدمنصف أن يوازن بين عملي هذين البطلين
اللذين عاشا فى عصر واحد ونظر الى آثارهما نظرة انصاف
فمن منهما يفوز بنصيب أكبر من اجلاله وتقديره ؟
أهو ذلك الفاتح الأمى الذى أبدل ظلام مصر بالنور ؟ أم
ذلك القائد الذى أراد أن يسخر العالم بعبقريته ونبوغه ؟

هذه هى الليلة الوحيدة التي أرى فيها عظمة جدى
الاكبر متجلية بأبهج مظاهرها بل يخيل لى فى هذه
اللحظة أن أنوار تلك العظمة كانت تماوج على سطح النيل
المتلألئ بالأنوار السابحة فيه .

أما القلعة المتعالية بالبهجة والاشراق على جبل المقطم
فكنت أراها كالأكليل المرصع يزيده هيبة واجلالاً .

أما الدعوات الصادرة من قلوب الحاضرين فى جامع
القلعة تلك الليلة فكانت تخيل لى أنها تمتزج بالأدعية
المخطوطة فى اللوحات النادرة المعلقة على جوانبه لتكون
كالوحى المقدس ينير القلوب بشعلة الغفران ويذكى فيها
شرارة الأمل .

ومما زاد بهجة هـذه الليلة ظهور البـدر شيئاً فشيئاً من وراء المآذن والقباب بعـد أن كان محتجباً عن الأنظار خلف ستار رقيق من الضباب . وما كاد يظهر ويمزج نوره بأضواء الـكواكب القريبة منه حتى غمر العالم بطوفان من الفضة . وجماع هذه الحالات الروحية اللطيفة كانت تدفع النفوس الى الابتهال باستنزال أنوار الرحمة والغفران على روح ساكن الجنان ، جدى الأكبر محمدعلى .

مصر ١١ربيع الاول سنه١٣٣٣ هـ

حديقة ساحرة

الى استاذى الفاضل حضرة على تقى افندى

لا أدرى كيف أصف بهجة الربيع فى هذه الليلة ؟

لو كنت شاعرة ، أجيد نظم القوافى لوصفت مايخالجنى من الانفعالات النفسية شعراً ، ولو كنت بلبلا لشدوت في الحال بقصيدة الطبيعة الغرامية ، أو كنت رسامة لخلدت بريشتي ذكرى هذه الليلة الشبيهة بليالى الفردوس .

ولكن من يستطيع وصف هذه اللوحة البديعة : ليلة شرقية زاهرة ذات أريج لطيف وحالة جذابة لايمكن نسيانها الى الأبد ، وصفاء ليل يقف الانسان أمامه حائراً باهتا .

كانت النباتات مسترسلة فى نومها ، وقد هدأت تغاريد الطيور ، وخفتت ترنيمات العصافير ، وشمل الصمت جميع ما فى الحديقة فليس ثمت صوت أو حس يخل بلطافة المكان

وبعد حين ظهر البدر بوجهه المنير من وراء الغابة خفيا

الكائنات مبتسما ، ناشراً أنواره فى الفضاء . وكان النسيم المعطر يهب كالمروحة بين آونة وأخرى على وجوه الأزهار فيوقظها رويداً رويداً من سباتها العميق .

لم تكن هناك نسمة حية تتمتع بمرأى هذا المشهد الرائع ، اللهم إلا جماعة الأزهار وطائفة الشجيرات الآخذة فى الصحو على مهلها . فبهجة هذا المنظر وبهاؤه ، وروح هذا المشهد الرائع وجلاله انما كانت أزهار هذه الحديقة المقفرة ، تلك التى كانت ترسل مع هبات النسيم ابتساماتها العطرة للكائنات المحيطة بها .

الضوء الحاصل من وجود القمر ولمعان النجوم فى الافق كان ساطعاً باهراً يظهر ما خفى من ألوان هاته الزهور ويشف عما لها من شكل وقوام ، وكان يخيل للرائى أن كل زهرة منها تحمل بين جنبيها شكراً خفياً تذيعه للعالم حالما تنتبه من نومها الهادئ .

إن الناظر الى هذه الحديقة وهى مقسمة الى طرائق مختلفة من الزهور التى تحاكى بألوانها علائم السماء من صفرة

وزُرقة وحُمرة وخُضرة وبياض ليخال له أن فى كل زواية منها أثر للحس والتأثر وعلامة للحياة ، وحيثما سرح نظره لا يقع الا على تماثيل صغيرة من الورود والرياحين تنشر أريجها الذكى في الفضاء .

كان زهر الليمون المتساقط يحرك كوامن النفس بأريج رائحته الشديدة بينما زهر الزنزلخت[1] يرسل سلامه المعطر من على منبره العالى . أما الأقاح والأرجوان والمنثور فكانوا على مقربة من بعض كأنما هم خلان يتنادمون على بساط واحد .

الورد فى هذه الحديقة فريد فى لونه ، مقطوع القرين فى شكله ! الأبيض منه ملتف برداء الطهر والعفاف ، والمشرب بالحمرة يتبسم سروراً ، والأصفر يتثني دلالاً ، أما الأحمر القانى ، ملك الأزهار وسيد الورود ، فكان يضرم فى أرجاء الحديقة نار العشق ولهيب الهيام .

كل الأزهار والرياحين تجل الوردة الحمراء وتقدسها وكل منها تفاخر بوجودها ، حتى الشجيرات الملتفة حولها كانت

---

(١) محرف عن كلمة (آزاد درخت) الفارسية

تضمها الى نفسها بلهفة واشتياق لتستمد منها البهجة والبهاء أما زهر العسل والياسمين — أصفره وأبيضه — فيظهران الاجلال لسيدة الورود بالضحايا التى يسردانها امام مليكتهم بين حين وآخر .

على بعد من هذه الجماعة ، بالقرب من الغدير الصافى كنت ترى لزنابق وزهر السمسم تستعرض محاسنها على صفحة تلك المرآة ، بينما كنت ترى الغليسين (١) تهتز دلالاً بعناقيدها وزهرة الثالوث مطرقة بسيماها اللطيف . وكانت أنوار اللجين الآخذة في الظهور على مهل من خلال غصون النخيل تزيد بهاء الأشجار وغصونها وتكسب الحديقة معنى شعرياً جميلاً . أما أرواح العشاق الذين هبطوا الارض فى هذه الليلة فقد أيقظوا العالم بحفيف أجنحتهم الغير منظورة وجعلوا الحديقة منتدى عشق وهيام ؟

(جبارس) مارس سنة ١٩١١

---

(١) Glocine وهو الزهر المعروف بفاصولية الزينة

السلطان الغوری

فی القاهرة شوارع ضيقة، كثيرة المنعرجات والمنعطفات لم تزل محافظة على غرابتها القديمة وميزتها القوميـة العتيقة حتى يومنا هذا رغم تطاول السنين والايام عليها .

ففی ذات يوم من أيام الربيع المتوهج بالحرارة والنور ، كنت مارة باحدى هاته الشوارع ، بينما النسيم يهب عليلا من جهة الشمال ، وبينما أشعة الشمس الذهبية تبهج الانظار.

كان الطريق هادئا سا كنا يسوق المرء الى أودية الخيال وحرارة الجو بما فيها من وحشة وانقباض تدعوه الى طلب الراحة وتذكره بأيام الصيف الشديدة الوطأة .

اجـتزت الطريق متأملة باسـتغراب فيما حولى من الحوانيت الصغيرة الممتدة على طول الطريق يمينا ويسارا ، إذ كانت المناديل الحمراء المعلقة عليها تجعل لها شكلاً لطيفاً أما أصحاب هذه الحوانيت فالبعض منهم فى انتظار زبائنهم وهم مضطجعون يراود النعاس أجفانهم والبعض الآخر يقطع

الوقت بالأحاديث الفاترة ، كأنما شدة هـذا اليوم القائظ قد نفذت الى أعماق قلوبهم فصيرتهم فى هذه الحالة . وكان يبدو على سيماهم الاستسلام للهدوء المحيط بهم وعدم الاكتراث لمدهشات المدنية . هكذا كانت تمر بهم الساعات وهم فى لذة باطنية محفوفة براحة البال وهـدوء الضمير لأنهم فى أمان من الاضطرابات التي تلحق أولئـك الذين يضنيهم اجهاد الفـكر فى سبيل العـمل . اننا لو أحصينا الحوادث المؤلمة التى اعترضت أيام هنائهم ومواسم سرورهم فـكم يبلغ عددها ياترى ؛ ولو فرضنا أن أيام حياتهم ضمت الى بعضها كحبات المسبحة الواحـدة فـكم علامة وقف يصادفها الانسان بها ؟

بعـد أن تركت « باب زويلة » بقليـل ، ذلك الباب الرهيب الذى كان مشنقة فى أيام المماليك ، وقع نظرى على بناءين شامخين أحدهما على اليسار والثانى على اليمين والبناءان يلوح عليهما أثر القدم عند أول نظرة يلقيها الانسان عليهما . لأن الأيام والليالى كانت قد لونت حائطيهما بلون ثابت ، لا يزول مدى الأيام .

كان يرتفع من جانب البناء الواقع على يسارى منارة مربعة ، يرى الناظر من خلال تزييناتها زرقة السماء وأطراف السحب فأدركت للحال أنه مسجد قديم وعندما ارتقيت السلالم المؤدية الى مدخل الجامع كان أول أمر ألفت نظرى هو الباب المحلى بالنقوش العربية النفيسة والأشكال الهندسية الجميلة . أثر نفيس يدل على غرام الأوائل بالفنون وولعهم بكل ما هو بديع وجميل .

تركت بعد ذلك ضوء الشارع لأدخل فى قتام المسجد وكان لابد لى من وقفة عند عتبة ايوانه الصغير ليعتاد النظر على تمييز الاشياء إلا أن النسيم البارد الآتى من صميم ذلك المسجد المقدس لطف ما بي ولم يلجئنى الى اطالة الوقوف .

ما أجمل هذا المكان !! ملجأ للاسلام بعيد عن حرارة اليوم ، فى أمان من ضوضاء العالم وضجيج الحياة !! سكونه العميق ينفذ الى قرارة النفس فيسكن ما بها من الآلام ، وأنواره النافذة اليه من منوره المتوسط كانت تنتشر فى أرجائه وزواياه لتنير الكتابات المنقوشة على الحائط ، وتظهر

للانظار التزيينات المتعددة الموجودة به

أما المنبر والقيشاني المحلى به الجامع فكانا آية فى دقة الصناعة وكلاهما كانا كلوحة فنية تسترعى الانظار بجميل شكلها . وبالاجمال فان دقة الصناعة التى كنت المحها فى الاشكال المتعددة المصنوعه من العاج والصدف جعلتنى فى دهشة عظيمة ، وبعد أن تأملت هذه الاشياء جلست باحترام على الدرج الموجود بجانب المحراب واستسلمت لتلاً ملاتي. كنت أفكر فى الغاية التي بنى هـذا المسجد لاجلها فأقول فى نفسى هل كان بناؤه بدافع مقدس أم أنه نتيجة لغرور العصور الاستبدادية ؟

رباه ما أجمل حسنه الرائق . . ! إن معانى الآيات الكريمة المنقوشة على أطراف الجامع تمتزج بالانوار الواصله اليه من خلال نوافذه فتكسب دقائق الاثير المالئه أطرافه حالة روحية توقع الهيبة فى النفوس وكان يخيل لى أن الادعية التى تقرأ فيه باخلاص والدعوات الصالحة والاحاديث الشريفة التي يرتلها المصلون أثناء عبادتهم ما زال صداها يرن فى قبته

الجميلة ، ففى كل ركن أثر من الهيبة والجلال وفى كل زاوية حالة روحية تجذب النفوس وتدعوها الى التأمل والتفكير .

خطر لى وأنا غارقة فى سكون المسجد وجلاله مظاهر الطنطنة التى يراها الانسان فى المعابد التى تقام فيها شعائر الاديان الاخرى ، تلك المعابد المملوءة بالهيا كل الثمينة والصور الجميلة والرسوم البديعة والمراسم المبهرجة .

نحن فى صلواتنا نضع أعيننا أننا بين يدى الخالق عز وجل ، فنراعى السكون ونلازم جانب الهدوء . أما هم فقد أرادوا تقوية أسس الدين بأصوات (الاورغ) وبذلك مزجوا الروحانيات بالضجيج والضوضاء .

ابتدأنا فى التأخر والتقهقر منذ اليوم الذى اهملنا فيه أوامر ديننا الحنيف . فلو كنا انقدنا اليه تماماً فأتمرنا باوامره واجتنبنا نواهيه من يدرى في أى ذررة عليا من درجات السعادة كنا الآن ؟

أراد أصحاب الاديان الاخرى الوصول الى ما يؤثر فيهم فاجتهدوا وجدوا فى اصلاح معتقداتهم الغير منطقية

بتلك المراسم والحفلات أما نحن المسلمين فقد أهملنا فى المحافظة على عقائدنا الدينية المبنية على أساسات منطقية معقولة ولذلك أخذنا فى طريق التقهقر وسبيل الانحدار.

هم قلبوا الباطل وألبسوه صورة الصحيح فاستفادوا دنيويا، أما نحن فقد تركنا مناهج الحق وسرنا فى طرق معوجة لم توصلنا الى الغاية المنشودة وهى السعادة. قدهجر الغرب المتمدن ذلك الطريق المزخرف فى الاعتقاد فوضحت أمامه سبل الحياة، أما نحن فابتعدنا عن أنوار ديننا الحنيف وسرنا نتخبط على غير هدى ونتسكع فى دياجير الجهل الى أن وقعنا فى هوة التأخر.

وصلنا الى حالة نكاد نفقد فيها بهاءنا وبريقنا، نظير اللآلىء التى يعلوها القدم من غير أن تستعمل. فاذا رغبنا فى الحياة وأردنا ألا نندثر كالأمم التى بادت لجهلها ولم يبق لها سوى اسمها فى صفحات التاريخ، وجب علينا أن نحيد عن طريق الضلال لنسلك مناهج الحق والاستقامة.

كنت مطرقة أتأمل فيما حولى من السكون فمر من

أمامى رجلان واتجها نحو الباب ثم فتحا احدى نوافذ الايوان وأطلا منها على الخارج حيث الزقاق القديم الملتوى التواء الثعبان. رفعت نظرى نحوهما وهما يتحادثان فطرقت أذنى كلمة صغيرة استرعت كل انتباهى اذ كان أحدهما يقول: « لما شيد (السلطان الغورى) هذا المسجد أمر أيضاً ببناء مقبرته أمامه » هذا كل ما سمعته لأننى عدت ثانية الى الغوص فى لجج التفكير. كنت أفكر فى اسم السلطان الغورى، ذلك الاسم المحفوف بالخواطر الموجعة والتذكارات المؤلمة فقلت فى نفسى:

« إذن أنا الآن فى نفس الجامع الذى بناه السلطان الغورى! ما أغرب هذه الصدفه!! »

حلقت ثانيـة فى جو التأملات فطار بي الفكر الى الماضى البعيد، الى الوقائع الدموية التى شهدتها أرض الشام بين جيوش السلطان سليم المنتصرة على جند (الشاه اسماعيل) وجيوش السلطان الغورى صاحب هذا المسجد.

تصادم الجيشان فى مرج دابق فاشتبكا مع بعضهما فى

قتال عنيف ورأى الغورى أن جيشه آخذ فى الهزيمة والادبار فلم ير بداً من الفرار . ابتعد عن ميدان المعركة وفى صحبته احـد الجنود من أتباعه ووقف بالقرب من أحد الأنهار بحجة الوضوء ، حيث فرش له الجندى سجادة الصلاة ، وما كاد يرتمى عليها متمدداً حتى فاضت روحه .

وعند ما خمدت نيران المعركة ، لاحظ السلطان سليم أن الغورى لم يكن بين القتلى أو الأسرى فأمر بالبحث عنه فى كل جهة . فتقدم اليه أحد جنوده وأخبره بأنه رأى جثة الغورى على مقربة من شاطئ النهر الا أن سليما داخله الشك فى صدق الخبر فأرسل معه (جندياً) ليأتيه بالخبر اليقين .

ظن ذلك (الشاويش) الأبله أنه اذا أحضر رأس الغورى لمولاه ينال استحسانه ورضاه فما كاد يصل الى مكان الجثة حتى فصل الرأس عنها وحمله مفتخراً الى المعسكر . الا أن السلطان سليم احتدم غيظاً لرؤية هذا المنظر البشع وهاله أن يرى الحاكم المغلوب مهاناً بعد مماته ومقطوع

الرأس كجرم مادى : فأمر باعدام ذلك الجندى الاحمق

كنت أفكر فى كل هذه الحوادث فيأخذنى العجب للخاتمة السوداء التى انتهت بها حياة ذلك السلطان ، الآمر ببناء مقبرته على ذلك النمط المكلف مع أن جثته بقيت فى مكان ورأسه فى مكان آخر ولم يعرف له مدفن حقيقى حتى الآن !!

تصفحت بعين الخيال الأيام التى مرت على مصر بعد هذه الحادثة فتمثل لناظرى استيلاء السلطان سليم على مصر بعد موقعة (العادلية) فصلب (طومان باى)، خلف الغورى ، على باب زويلة فالحرائق والمذابح العامة ثم طلوع عصر جديد باندحار المماليك ودوام التحكمات المتسلسلة على مصر . . وما يلى ذلك من أيام حكم السلطان سليم فى مصر وسلطنته الزاهرة فى سراى النيل والصفحات المشرقة من حياته الجنونية .

استعرضت فى ذاكرتى كل هذه الحوادث التى مرت بنظام آخذة بعضها برقاب بعض الى ان تذكرت الكلمة

الخالدة التي فاه بها السلطان سليم عندما نظر الى خريطة البحر الابيض حيث قال :

« إن هذا البحر أصغر من أن يخفق عليه لواءان فليخفق في ارجائه لواؤنا فقط » وقد ذكرتني كلمة هذا السلطان الخالد، علم زمانه في البطولة والشجاعة بكلمة أخرى أمر بكتابتها على باب سرايه فى المنيل وهى :

« الملك لله وحده . والذين يأملون الحصول عليه بالقوة والغلبة يضطرون الى إرجاعه في نهاية الامر . نحن العاجزين لو كان لنا أن نملك حفنة من التراب على وجه الارض لكنا تركناه لله عز وجل » . خادم الفقراء

سليم

ولما تركت حدائق المنيل وأزهارها المعطرة وخيالاتها اللطيفة . راجعة الى أحضان الحقيقة ، كان الجو قد اعتدل وأخذت الانوار النافذة من قبة المسجد فى الزوال ، فشكراً لشمس الربيع التى قادتنى الى هذا الخيال !

مصر كانون الثاني ١٩١٢

الغروب

خيالات

كان للشمس وقت العصر سحر خاص يولد السرور والنشاط وينشر على الـكائنات رقة ينسى المرء معها ما قاساه من شدة الحر طول يومه ، كما أن طراوة النسيم التي تخلخل دقائق الهواء كانت تحيي نفس الانسان بلطفها الساحر ويحـلو وقعها لديه كأنما هى أمانى العاشق بساعة الوصال . وكانت القبة الزرقاء فى صفاء جاذب تدهش العيون بزرقتها . أما أمواج البحر اللامعة فـكانت تتلألأ على الساحل فتـكسبه حلة لطيفة بابتساماتها الحلوة ودلالها العذب .

وعلى كثب ، كانت رياض النخيـل التى تزين الرمال الذهبية بمنظرها البهيج تنشر فى كل الارجاء ظلالها المنقوشة (كالدنتلا) بينما كان منظر الكروم الزمردية يدعو النفوس المتعطشة الى نزهة فى ذلك المساء .

لم يكن فى الامكان مقاومة دلال الطبيعة ، فما كدت

أنظر البحر يتبسم امامى ، وأرى ذلك المنظر المعروض على الانظار عند رمال الشاطىء ، حتى لبيت تلك الدعوة اللطيفة فقمت متجهة نحو خرائب قانوب [١] المجاورة لنا حيث ارتقيت قمة التل الذى يتوج تلك الاطلال الدارسة لأمتع النفس بمنظر الغروب .

هذه المدينة معروفة منذ حروب (ترواده) الشهيرة ، التي هى من اغرب الفصول فى كتاب أساطير الاولين . وقد سميت كذلك لان (قانوبس) أحد الادلاء الذين رافقوا الملك (مينالاس) فى حروبه كان قد عرج على الاسكندرية فصدمت العواصف سفينته وأغرقتها فى ذلك المكان أما هو فما كاد ينجو من الغرق وتطأ أقدامه الساحل حتى فاضت روحه فى تلك البقعة التى اطلق الناس عليها اسم (قانوب) ذكرى لهذه الحادثة .

عرف الاسكندريون واليونانيون مزايا هذه البقعة

---

(١) مدينة قديمة بالقرب من خليج أبى قير كانت عامرة فى أيام البطالسة

من جهة الموقع والمناخ فجعلوها مقر لهوهم وسرورهم ، فلم يمض عليها زمن كبير حتى اشتهرت بمعابدها النفيسة وحماماتها اللطيفة ومراقصها التي تجذب اليها عشاق اللهو والطرب من كل حدب وصوب

في مدة قليلة وفي زمن وجيز ازدهت هذه المدينة وارتقت الى ان بلغت عرش الاقبال ثم ما لبثت ان أخذت في سبيل التدهور والسقوط لانهماك أهلها في المناعم والملاذ وما هي الا عشية وضحاها حتى طوى بساط ذلك السرور كأن لم يكن منشوراً بالامس ولم يبق من مظاهر تلك الافراح والمسرات الا اسم ضئيل في صفحات التاريخ يكاد يمحي لضآلته .

ننظر الآن الى هاته الاطلال فنستعيد الى الذهن ذكرى ذلك الماضي البعيد ونحن غارقون في لجج الحيرة والتأمل.

في وسط تلك الخرائب والاطلال لا يوجد سوى أثر واحد محافظ على شكله القديم ، هو معبد صغير في وسطه يجذب الانظار باعمدته المزخرفة ذات الالوان البديعة

كانت أنوار المغرب تنعكس على تلك الاعمدة الرخامية الناصعة في تلك الخرائب المنسية مما يجعل لها شكلا خيالياً بديعاً

الاسرار الكامنة فى الحجرات الدارسة والرفوف والحوائط المتداعية والاعمدة الواقعة وفتات الاحجار المبعثرة هنا وهناك كل هذه ألسنة تنطق بحوادث عالم زائل وسطور صدق تعرض للأنظار دروس الاعتبار .

ان هذا المعبد الشهير بقية أطلال مدينة (قانوب) الزاهرة ، تلك المدينة التى هي تذكار السلف للخلف ، كان يتوهج بالنور من تأثير شمس الصيف الساحرة وكان يخيل لى ان الخواطر المعطرة ما زالت تماوج فى ارجاء هذه الخرائب وأن الآمال الذهبية تهتز حتى الآن فى دقائق الاثير المحيطة بهذا العرش ، عرش المسرات والافراح المدرج الى الابد فى اكفان العدم والنسيان .

من يدرى كم من الرءوس انحنت بخشوع أمام تلك الاعمدة الملقاة على الارض الآن بحالة ذل وانكسار؟ إنني

لا اكاد أذكر ابهة الماضى وسلطانه حتى تتجسم أمام أنظارى الصفحات الخالدة من عظمة هذه المدينة القديمة . وبتأثير الانعكاس الازلى كنت أشتم فى الهواء روائح الزمن القديم ويخيل لى أن فى كل زاوية أثر للحس والحياة .

بعد ان حييت باجلال واعظام المعابد الخربة والاعمدة المتداعية والحجرات المهشمة من خرائب قانوب الحاوية فى عرصاتها آثار مدينة زاهية زاهرة ، أخذت فى اتمام نزهتى ووجهتى خليج أبى قير ، وكان البحر اذ ذاك يداعب الرمال الذهبية عند الساحل وشمس الغروب تفيض على كل الجهات بأنوارها الباهرة .

تتبعت طول الساحل ولما يبق على غروب الشمس الا مقدار طول الحربة ، الى أن وصلت الى القلعة المسماة بطابيه الترك وهى أعلى الطوابى المحيطة بأبى قير .

هنالك رأيت منظراً بديعاً ترقص له حبات القلوب . رأيت المدينة تحتى ملتفة بثياب بيضاء تسترها غلالة رقيقة من ذرات الرمال . وأشجار النخيل الشامخة بأنفها نحو الملاء ،

مصطفة بترتيب واحـد تزين الطريق بعناقيدها الصفراء والحمراء ، والخليج متمخضاً أمامى بأهميته التاريخية وقد بدا فى حلة من الانوار الذهبية بينما الشمس تطبع عليـه قبلتها الاخيرة وفى ناحية أخرى كنت ألمح مقبرتين ينشران على العالم آثار الهيبة والخشوع وعلى اليسار من هذا الموقع كان بضعة أفراد من الانجليز تتلهى بلعبة (التنيس) .

وهناك على الساحل كانت جماعات من السماكين مشغولين بسحب شباكهم ينظرون الى ما قسم الله به عليهم بلهفـة واشتياق وكنت اسمع فوق رأسى طنين تلك الآلة ، آلة الطـيران التى هى معجزة عصرنا تحلق فى الجو طائرة كالنسور وكلما ارتفعت ظهرت للأعيان كأنها واقفة لا تتحرك وبالاجمال لم يكن هناك سوى الصمت والدهشة والبهاء !

على بعد شاسع بالقرب من جزيرة نلسون الواقعة في عرض البحر كنقطة استناد كنت أرى جملة نقط بيضاء تقترب نحو الساحل وبعد قليل تبينت تلك النقط البيضاء التى كنت اخالها أشرعة تتحرك فاذا هى قوارب صيد من

النوع المسمى (نابوليتان) يقترب الى الشاطئ كسرب من طيور البحر .

كنت أراقب هذا المنظر البديع ، منظر قدوم هؤلاء السماكين من مسافات شاسعة تبعد عن المدينة أربعة أو خمسة أيام ، ثم اقترابهم بهيئة منتظمة الى شاطئ البحر فيأخذنى الاعجاب بسعيهم واقدامهم فأقول فى نفسى أجدر بهذا النشاط أن يكون درس اعتبار لسماكينا الكسولين. ثم انتقل الخاطر فجأة الى تفاصيل وقعة حدثت فى نفس المكان و بنفس هذه الصورة منذ مائة وأربعة عشر سنة .

حاول اسطول نابليون فى ذلك العهد الالتجاء بهذا الخليج وباغته الاميرال الانكليزى (نلسون) باسطوله حيث دمر معظم سفن الفرنسيين وأغرق البقية فى أعماق البحر .

لم تستغرق المعركة اكثر من ثلاث ساعات ومع ذلك فقد كانت رهيبة دمر فى خلالها معظم الاسطول الفرنسى وماسلم منه لم ينج من العطب وان الناظر فى الخليج وقت هدوء البحر ليمكنه أن يرى تلك السفن التى تقوم بالملايين وهى فى

قاعه : وقد حاول كثير من كبار الماليين تخليص تلك الثروة الطائلة من قبضة البحر في أزمنـة مختلفه الا أن مساعيهم ذهبت أدراج الريح وظلت تلك السفن فى مرقدها الهادئ حتى يومنا هذا .

وفى النهاية وصلت قوارب الصيد النابولية الى الساحل فرأيت أصحابها منهمكين في طي الاشرعة وهم ينشدون الاهازيج والاغانى . وبينما كنت أرى أشكال قبعاتهم المنعكسة فى البحر بالوانها المختلفة كانت الشمس أتمت غروبها وغاص قرصها الذهبي فى لجة الخليج ناشراً فى ارجاء المكان ضوءاً قرمزياً .

وفى ذلك الوقت ، أى في الوقت الذى بدأت فيـه الانوار عـلى سطح البحر تخبو والاضـواء التى فى السماء تتضاءل والرسوم والاشـكال التى تكونت في السحب تضمحل ، نزلت من المكان الذى كنت فيه وقفلت الى مسكنى راجعة على مهل ، طامسة باقـدامى طنافس الرمال الناعمة التى فرشتها يد الطبيعة لتزين شاطئ البحر .

وكان الهواء اذ ذاك محاطاً بستار رقيق، شفافته تكسب المناظر نوعا من الابهام والغموض.

هنا وهناك لمحت بعض نماذج من المساكن الاولية لبنى الانسان أو بالحرى خياماً نصبها البدو فى ذلك القفر نظرت الى تلك الخيام فاذا بأضواء الاسرجه تشع من خلالها واذا بأصحابها منهمكين باحضار طعام المساء . كان فريق من هؤلاء البدو قافلين نحو خيامهم وهم يسوقون الابل أمامهم وفريق آخر كان جالساً أمام خيمته بتلك الكيفية الخاصة بالبدو، بينما البعض متمدد على الرمال ، مسترسل فى بحار الخيال والتأمل والبعض فى عزلة عن رفاقه يترنم بالاناشيد الشجية وفى ناحية من هؤلاء كنت ترى لفيفاً منهم يتناول الطعام مع عائلته وفريقاً آخر يتناده ون حلقات مع الاصحاب والخلان

كنت أرى على وجوههم آثار السرور والمرح فى خيامهم أمارات الانس والبشر وفى قلوبهم علامات البساطه وراحة النفس . وبالاجمال كانت تلك البقعة صحراء خالية

تملصت من قيود الضجيج وجلب المدينة . فمن منا يحكم بعد ذلك بفقدان السعاده من هذا الوجود وهو يرى مثل هذا المنظر الرائع ، منظر السرور والنشاط في مثل هذه الصحراء البعيدة عن أنوار مدنية العالم العائشين فيه ؟ إن الاشتراك بالفكر والحس في حياة القناعة والسذاجة التي يقضيها هؤلاء البدو الناعمو البال لما يبعث الطمأنينة والهدوء إلى قرارة النفوس . أفلا تشعر معي أيها القارئ أن من يعيش بعيداً عن مدنيتنا الحاضرة يستيقظ في عالم الهدوء والايناس حيث يرى نفسه محفوفاً براحة الضمير والسرور المعنوي ؟ .

عند مارجعت إلى مقر سكنى كانت الكائنات قد استرسلت في سكونها العميق واختفت عن انظار الحس تحت ستار الخفاء .

وكنت أسمع أغاني المساء المعنوية تماوج في الفضاء وهي تدعو (الكائنات الحية) إلى النوم والراحة .

أما سراى للمدورة ، إحدى المعجزات التي تمت على

يد الفن فكانت نجومها الكهربائية تسطع بالبهجة والاشراق .

وبالاجمال فان آثار الحياة الظاهرة فى داخل السراى وخارجها كانت تستعد لاستقبال هذه الليلة الروحية الزاهرة بالابتسامات .

مصر في ٢٠ جماد الثاني سنة١٣٢٩

- حب الوطن من الايمان -

ان بشرى نبينا الجليل الشان ، القائلة بأن حب الوطن جزء من الإيمان لها وقع كبير فى نفوس المؤمنين وأثر جليل عند الذين يعرفون معنى الاخلاص فى الايمان .

جعل النبي حب الوطن مقياساً للايمان الخالص فما أعظم هذه الحكمة ! وما أجلها سعادة لدى النفوس النقية أن تكون قلوبهم مفطورة بحب أوطانهم !! طوبى لكم يا أصحاب القلوب الطاهرة فقد جبلتم على حب الوطن ، فأصبحتم محبين له وأصبح محبوباً لكم . صرتم من عشاقه وصار معشوقاً لكم . وإن الحكمة الرائعة التى تنطوى عليها هذه السنة النبوية الجليلة الشأن لفى غنى عن الشرح والبيان لأن الوطن هو منبت فضائلنا ، منه نقتطف ورود الحمية وأزهار الشجاعة .

وطننا مجموعة نفيسة تضم بين دفتيها ذكرى كياننا ففيها تجد ذكرى أيام السلف وحوادثهم وفى طيات صحائفها

تدون أعمالنا الحاضرة يوماً فيوماً .

إن الأعمال التي سيقوم بها أولادنا وأحفادنا في الأيام المقبلة ستدون أيضاً في صفحات هذه المجموعة ، فلنحتفظ بهذا الأثر النفيس ولنحرص عليه كل الحرص .

ان وطننا المحبوب ، المحدد بدماء أسلافنا الأعزاء ، ذلك الوطن المفدى الذى تركه لنا الأجداد وديعة بعد أن قاموا بتحصينه لا بالحجارة والحصون بل بعظامهم وجماجمهم يطلب منا التفانى فى خدمته لان زماننا زمن عصيب يقتضي السعي والاقدام . فلنخدم وطننا ولنحرص عليه لانه بالحرص عليه نحرص على حياتنا ، وبالتفانى فى خدمته نخدم أنفسنا .

ان المحب الحقيقي لا يحجم عن بذل النفس والنفيس وتضحيـة أعز ماالديه في سبيل الوصول الى رضى المحبوب فلتكن تضحيتنا اذن فى سبيل الوطن بقدر محبتنا له .

لنبرهن على أننا نعز الوطن ونهيم بحبه بالفعل لا بالقول .

لنضع نصب أعيننا الدماء الزكية التى أراقها أبطال الوطن فى سبيل أوطانهم ولنفكر على الدوام بأن الخلف سينظر

يوماما الى أعمالنا فينقدها كما ننقـد نحن اليوم آثار السلف وبمثل ذلك ليكن سعينا جليلاً فى سبيل خدمته .

ننظر اليوم الى آثار أسلافنا فتدهشنا أعمالهم ،فلنحاول نحن أيضاً أن ندهش أبصار أحفادنا بجليـل ماستتركه من الآثار والمآثر . لنجتهـد ولنبرهن للعالم من طريق حب الوطن بأن قلوبنا مملوءة بالايمان الصادق وبأننا نعلم تماماً بأن حب الوطن من الايمان .

القاهرة ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٨

قصر الاموات[1]

امرى صحف الماضى

اليوم فقط أسعفنى الحظ فزرت مقابر الجثث الشهيرة التى ظلت راقدة نحو ثلاثة آلاف عام فى وادى الملوك براحة وهدوء ، وهى فى مقرها الحالى فى سراى «قصر النيل» ذلك القصر المحتشم . لم أضطرب ولم يلحقنى الضيق والكمد، كما لو كنت فى وادى الملوك البطن بالحجارة الملساء بل تمكنت من رؤية تلك الآثار بكل راحة وهدوء وأنا فى هذا الملجأ الأمين الموجودة فيه جثث الفراعنة بين ثنايا الجبال الصناعية لهذا القصر.

فكنت أسير فى طرقاته غير هيابة ولا وجلة إلى أن وجدت نفسى فى صالة كبرى أمام باب ضخم فولجته فى الحال . عند ذلك استقبلنى صف من الهياكل الأبدية وهى مصطفة بترتيب واحد على يمين ويسار المدخل الكبير .

---

(١) وصف المتحف فى مكانه القديم بالجزيرة

نظرت إلى هـذه التماثيل نخيـل لى أنها تنظر إلى ما حولها بازدراء واحتقار ثم فهذه الآثار الفرعونية الخالدة ، هـذه التماثيـل العظيمة المنحوتة من الجرانيت الملون كانت تدل بسكونها وصموتها عما مر عليها من الخطوب العظيمة والحوادث الجسيمة .

لم يكن فى مقدور الانسان عدم التأثر بتلك النظرات العميقة التى يسطع نور ضيائها من عيون تلك التماثيل ، تلك النظرات المملوءة بالتحيـة والمؤانسة . إن الناظر الى هاته التماثيل يتصور أنها وهى جالسة على تلك القواعد المحكمة تستعرض أمامها سلسلة العصور التى مرت عليها وتذكر شوارع (منفيس) المزدانة بالأعمـدة وطرقاتها المحفوفة بالمعابد النادرة ومواسمها الحارة فتقيس ماضيها الخـلاب بحاضرها . فكنت ترى على سيما هاته الهيا كل أثر السرور ، وعلى شفاهها ابتسامة السخرية والاستهزاء وفى عيونها بريق اللذة وفى أعماق قلوبها سر الآخرة .

بمثل هذه الصورة كانت هذه الهيا كل الجرانيتية الملونة

بالحمرة والسواد ، جالسة جلسة الفلاسفة تستعرض انقلابات العالم وتبدلاته العظيمة وتطوراته العجيبة .

تركت بعد ذلك هذه التماثيل ذات العيون الصافية فى تأملاتها وخطوت نحو الأمام لمشاهدة الآثار الموجودة فى القاعة السفلية بعد أن توقفت فى دهاليز عديدة ومررت على جملة أبواب فكنت أرى كل الغرف ملآى بالآثار النفيسة التى تعيد الى الذهن آثار الماضى وخيالاته .

فها كم آثار مدنية بعيدة مجهولة ، ها كم هياكل ومعابد وأعمدة ومقابر (ارمنت) و (منفيس) و (الكرنك) و(الأقصر) ، تلك المدن الزاهرة منذ آلاف السنين ، تزين الآن هذا القصر الساكن وتزيد مجموعة الآثار الموجودة قيمة تذكاراتها النفيسة

الاوجه الضاحكة البارزة من الحوائط والرؤس العديدة والابتسامات الممزوجة بالهجو والسخرية كلها كانت تتركنى فى حيرة واضطراب ثم التفت الى الجهة اليسرى من صالة صغيرة فرأيت عينين سوداوين تتأملان فى محيط الصالة.

هاتان الدرتان النفيستان اللتان تزينان ذلك الرأس الجميل ، لابد وأن يكونا عيني الملكة (تابا) لان نظراتها الحادة كانت تتعقب المرء فتؤثر عليه بسحرها الخاص .

وقد تمكنت هذه المرأة الفتانة من الزواج بفرعون زمانها مع أنها لم تكن أصيلة أوذات نسب عريق في المجد وعلى مر الايام زادت عظمتها وكبرت أبهتها حتى انقاد الجميع الى أمرها وحكمها ، ثم انتهزت فرصة ممات (أمانوس الثالث) فشاركت ابنها البكر فى الحكم وأدت لمصر خدمات جليلة بما أبدته من الحنكة المالية والذكاء الفطرى فى تدبير الامور .

تشبه هذه الملكة نوعاما السلطانة (كوسم [1]) فى

---

(١) وهى المشهورة فى التاريخ باسم (كوسم والدة) ، من نساء السلطان احمد الاول أحد سلاطين آل عثمان ، اشتهرت فى زمانها بمالها من عقل وجمال ودراية ولها فى الاستانة جملة مؤسسات خيرية منها جامع فى اسكدار وهى التي وضعت اساس الجامع المسمى (ينى جامع) .

الفكر والقدرة لانها هي أيضاً نالت موقعاهاماً من الاجلال والاعظام فى أيام حكم ابنها السلطان ابراهيم حتى أصبح فى يدها مقاليد كل الامور

وقد اشتهر عن كلتا هاتين الملكتين الذكاء والقدرة فى تولى الحكم الا أن التاريخ يذكر اسميهما مقرونا بالشدة والغرور .

أصحاب العلم والعرفان ، يزداد عددهم على مر السنين والايام الا أن منزلتهم العلمية وقيمتهم المعنوية هى هى فى كل عصر وكل زمان ، فالملكة (تابا) التى كانت سبباً فى رفاهية وتقدم مصر في عصرها منذ ستة آلاف سنة مضت ، ظهرت عظمتها فى القرن الحادى عشر من الهجرة فى شخص السلطانة (كوسم) .

كنت أمتع النظر برأى الآثار العديدة ، وأقف أمام مدهشات كثيرة لا تعد . . . . الى أن مررت بجانب أحد الابواب فاستلفت نظرى أحد التماثيل بشكله المنوى .

كان التمثال هو الهيكل المعروف « بشيخ البلد » ذلك

التذكار الباقي من أيام الفراعنة ، مصنوع بشكل فني بديع وفي يده عصاه التي يحث بها قومه على الجد والعمل .

الشرق شرق في كل زمان ، فالكسل احدى مميزاته الممزوجة بحالتــه الروحية تلك الميزة التي يسعى الشرقيون في رفعها وازالتها في كل حين وآن .

طفت بعد ذلك في انحاء تلك الغرفة العجيبة الموجود بها عجول (ابيس) ومنها انتقلت الى غرفة أخرى ، رأيت بها الاميرة (نوفريت) المرتدية بجلبابها الابيض الناصع تنظر الى ما حولها بعينيها الجميلتين حيث كانت جالسة على كرسي سلطتها جلسة من يستمع أحاديث نخبة من الخلان الاصفياء . فتركت غرفتها ببطء خشية الاخلال بالسحر المعنوي الضارب في أطنابه وتابعت المسير باحثة عن احدى ملكات الشعر والخيال . فنقبت عنها في كل حجرة وصالة ولــكن ذهبت كل أتعابي أدراج الرياح لأنني لم أعثر على أي أثر يدل عليها . كنت أبحث عن ملكة لها حادث خاص في التاريخ ، تلك هي (نيتوقريس) ذات الخــدود الوردية .

يذكر عنها التاريخ أنها كانت تسبح ذات يوم من أيام الصيف في مياه النيل فتركت حذاءيها المزركشين علي شاطئه الذهبي وبينما كانت الشمس ترسل أشعتها على الحذاءين فيزداد بريقهما انقض عليهما طائر واحتمل احدهما على منقاره حتى (منفيس) وألقاه أمام فرعون ذلك العهد الذى كان مجتمعاً بأركان دولته وأعيان مملكته في ميدان فسيح .

فلما رأى الملك ذلك الحذاء الصغير عول على أن يبحث عن صاحبته وما زال يفتش عنها حتى وجدها واقترن بها أخيراً . وقد تركت هذه الملكة لنفسها صحائف خالدة فى تاريخ مصر مازالت مشرقة الجوانب حتى يومنا هذاوهى نفسها التى أمرت باتمام الهرم الموجودبالجيزة ودفنت داخله غير أنه مما يوجب الأسف أن هذه الملكة الجميلة (نيتوقريس) لم يعثر لها على قبر أو تمثال وقد ازددت أسفاً عندما سمعت بأن تاريخ حياتها مدون على صحيفة من ورق (البابيروس) ضمن معروضات متحف (تورينو) ! !

وقد ظلت قصة هذه الملكة كحكاية خرافية ولم يبق

لها فى التاريخ مزية أكثر من ذكر اسمها الموسيقى .

الى هنا كنت قد أتممت زيارة البهو السفلى فارتقيت السلالم المؤدية الى القاعات العلوية ودخلت الدائرة الخاصة بالحيوانات المقـدسة ، فوقع نظرى على جملة من القطط والكبوش والتماسيح والقردة والفيران والطيور المعروفة بأبى قردان وكانت جميعها مرتبة داخل دواليب من الزجاج ترمق المتفرجين شزراً بعيونها الزجاجية الباردة .

كان يلوح لى أن أنواع التقديس وضروب الاحترام التى نالتها هـذه الحيوانات وهى حيـه أكسبتها الجمود البادى عليها الآن اذ كان الناظر اليها وهى مصفحة بأنواع الحلى الذهبية يخيل اليه أنها فى انتظار الذين عبدوها حيناً من الدهر .

أى حس عميق ياترى يسوق الناس الى ايفاء واجباتهم الدينية فى مختلف العصور والأيام حتى يجعلهم يلجأون الى مثل هـذا النوع من العبادة ، عبادة عيون الحيوانات ومناقير الطيور ! ؟

قرب الآن ميعاد غروب الشمس ، اذ كانت أشعتها النافذة من القبة الكبيرة تلون الموجودات بلون أحمر وتنشر فى أرجاء القصر ألوانا مختلفة من الهيبة والخشوع .

الاطارات والنوافذ والحوائط والمدافن أصبحت جميعها فى طوفان من اللون القرمزى وكان يخيل للناظر أن الهياكل والتماثيل أخذت في الانتباه والصحو وأن التوابيت تلتهب بالنيران .

هنا في هذا المكان يرى الانسان الابن بجانب الاب والحفيد فى محازاة الجد ، والكل نائم فى صف واحد بعضهم مسدل النقاب على وجهه والبعض يختال فى ثيابه وحلله والبعض راقد بلا ثوب ولا كفن .

هؤلاء الأعيان والذوات الذين كانوا ينفرون من بعضهم البعض وهم أحياء ، جمعهم الموت على حظيرة واحدة فى هذه المقابر الغرانيتية التى تزين هذا القصر وقد اختلط حابلهم بنابلهم فالعدو بجانب العدو والخصم مجاور للمخاصم والحاكم على قيد أمتار من المحكوم فكم من الملوك الذين

يقرأ الخلف تاريخهم الا ن على الاعمدة ليلم بأعمالهم وآثارهم، قد لبوا الدعوة الى هذا الموعد؟؟؟

إن هؤلاء الذين دفنوا ردحاً من الزمن فى طى الصحارى. وبطون الجبال قد تلاقوا الآ ن فى هذا المكان وهاهم ينتظرون بفروغ صبر الساعة التى تنعتق فيها أجسادهم من هذا الجمود الأزلى.

ألقيت نظرة أخيرة على هذه الموميات الذهبية فخيل لى أنها تستعد لمسامرة ليلية وأن كلاً منها تنتظر انقطاع صوت الأقدام على أثر غروب الشمس لتقفز من زاويتها الساكنة الى بساط المنادمة والمصاحبة.

فى وسط هؤلاء الحكام المغرورين الذين ظلوا تحت أطباق النسيان مدة مديدة فى وادى الملوك والمعروضين الآ ن لحرارة الشمس فى هذا القصر المحتشم، كان (رمسيس) الأكبر راقداً فى مقره الأبدى، ملتفاً بأكفانه المنسوجة من ألياف نبات الصبر الناعمة، داخل دولاب من الزجاج. الهيكل العظمى لهذا الملك العظيم كان يشف عن مهابة

وجلال ، فجبهته الواسعة تستر تحتها أمارات القوة والاستبداد وأنفه الأقنى يدل على الغطرسة والكبر وعيناه المجوفتان يشفان عن السطوة بينما شفتاه الرقيقتان تنمان عما كان له من قوة وارادة .

ها هو (رمسيس الأكبر) الذى تحكم فى حياته على العالم بجيوشه ، يرفع الآن قبضته اليابسة بالتهديد كأنما يريد أن يتحكم على العالم الروحاني أيضاً وعلى أوامره الملوكية على المشاهير المتفين حوله فى هذا القصر .

هذه اليد المرفوعة لغرض خاص ، هل كان رفعها اطاعة لأوامر ملك الموت ؟ أم أنها رفعت لغضبه من مفارقته مقره الهادىء فى (وادى الملوك) ؟ أم لأنه اضطرب من حرارة الشمس بعد رقاده الطويل فى اعماق الأرض فرفع يده ليتقيها ؟ وبالاجمال فالمرء يحار فى تعليل ذلك .

قبل هذا التاريخ باثنين وعشرين عاماً أمر الخديو السابق المرحوم توفيق باشا باخراج جثته من تابوته المذهب وأن يجرد من اكفانه التى يبلغ طولها أربعة آلاف متر أمام

جمع من العلماء والاعيان فظهرت علامات الغضب والاغبرار على محياه حتى ذعر الخفراء والمتفرجون وارتدوا الى الوراء ويظهر انه احتدم غيظاً لاخراجه فجأة من الاعماق المظلمة التى ظل فيها ستة آلاف عام الى وجه الارض فرفع احدى يديه اللتين كانتا مطبقتين على صدره ليهدد العالم . ومنذ ذلك الحين أخذ وجهه يزداد عبوسة

ان هذا الملك الذى أضاف صحائف خالدة على تاريخ مصر بفتوحاته الشهيرة والذى كان يلقبه اليونانيون بالمعبود القادر، أوصى وهو مدفوع بتربيته الفكرية واحساساته الموروثة بأن تدفن جثته فى أقصى وأعمق نقطة من وادى الملوك ، ليظل جسده بعيداً عن الانظار فى أمان من السرقه حتى أبد الآبدين . لكن وا اسفاه لم تمكنه الايام من اتمام رغبته كما أراد فان المقابر التى بذل الفراعنة فى تشييدها وبنائها النفس والنفيس ، غير مبالين بما ضاع فى ذلك السبيل من مال الامة وارواحها ، قد ناوأها الزمان ولعبت فيها الايدى وكشف ما كان تحتها من الاسرار فظلت دروس عبرة

لانظار الناس . هؤلاء الفراعنة الذين عملوا لكل امر حسابا ، هؤلاء الحكام الذين ابتلام الدهر بفكرة الخلود ، لم يعملوا لهذا الدور الغادر ، دور المدنية الحديثة حسابا ولم يدر بخلدهم امكان ما وقع لهم اليوم

لو انهم ظلوا فى امكنتهم ، فى تلك الطرق الخفية من وادى الملوك لكان لاجسادهم المحنطة نصيب أوفر من الخلود غير انه الان قد حكم عليهم بالفناء منذ الساعة التى اخرجوا فيهامن محيطهم السابق الى وجه الارض . ان عظامهم اليابسة المحنطة بالادوية والعقاقير قد قاومت مرور الايام والاعوام ولكنها لاتستطيع اليوم مقاومة نور الشمس .

إن (رمسيس الاكبر) الذى دوخ اممآ عديده ومدها بالنور والضياء والذي كان سببآ فى شهرة عائلته ورفع ذكرها ، تملكت حب الشهرة من نفسه لدرجة عظيمه حتى اصبح اسيرآ لها طول حياته . رغم فتوحاته العديدة وانتصاراته الباهرة ، كان فى ريب من خلود اسمه ودوام ذكره فأمر ببناء المعبد المعروف باسم (رمسسيوم) بالاقصر

ذلك المعبد الذى ظل مكانا مقدسا حتى ايام اسكندر المقدونى وحافظ على مكانته حتى فى ايام المسيحيين

وقد ظلت اعمدته الملونة العديدة محافظة على نفاستها وقيمتها وبقيت مظهراً لتقدير الناس واعجابهم ومداراً لذكر اسم (رمسيس) الى الابد

كل هاتيك الآثار والمبانى لم تطفئ تعطشه الشديد الى حب الشهرة والخلود ، اذ كان على الدوام فى ريب من الايام على اسمه المحفوظ بالسطوة والبأس فعمد الى تشييد هياكل عظيمة مشابهة له فى وسط الصحراء املاً فى تخليد محياه المهيب . ففى كل عمل من اعماله أثر من آثار الانانية وفى كل حركاته مظهر من مظاهر الغرور وبالاجمال فقد كان عنوان المهابة والعظمة وتمثالا مجسماً للغرور

ها أنذا أراه الآن امامى راقداً فى تابوته البللورى كبقية الاموات المجاورة له ولم تبق له مزية من مزايا شهرته منذ اليوم الذى اخرج فيه من مقبره الملوكي وحل هذا المكان . وبعد سنين قلائل تتحلل عظامه فتفسد وتتفكك فينقلب

الى كمية من التراب لا تكاد تملأ الكف وعندها لا يبقى له فى الوجود سوى ذكراه المحفوفة بالغرور . فقل لى بربك من الذى يصدق بخلود (رمسيس) بعد زوال هذه المظاهر الدالة على عظمته ؟ وما يبقى اذ ذاك من تلك القدرة والكبر والعظمة والسطوة ؟

إن رمسيس الراقد فى تابوته البللورى والملتف بأكفانه الصفراء المنسوجة من ألياف نبات الصبر ليس الآن بينه وبين بقية الاموات المحفوظة فى هذا القصر أدنى فرق . فكل التوابيت مصطفة بترتيب واحد ونظام واحد وكلها مصنوعة من الخشب والزجاج وعلى جميعها لوحات صغيرة كتب فيها اسم الميت واسرته . وعندما اقتربت من تابوت (رمسيس) لأقرأ اسم هذا الحاكم المغرور فى الورقة البيضاء الملقة عند قدمه كم وددت ان يضاف على اسمه هذه الكلمة التى قالها الشاعر المرحوم ضيا باشا :

(بوقبه ده قالان همان برخوش صدايش)[1]

---

(١) شطر بيت معناه : الباقى تحت سماء هذه القبة هو صوت لطيف

تأوهات مسلة

مبتكرة

خيل لى أنها تتأوه فتقول : « آه . . . من يستطيع اسكات أوجاعى المتأصلة فى اعماق قلبى ومن اين لى ذلك الذى يخفف عن آلام نفسى ويداوى جراحها ببلسم كلماته المسلية ؟

اننى حتى اليوم اعجب لأمر نفسى ولا أدرى لماذا حكم على بمثل هذا النفى المؤبد والشقاء الدائم . أنظر حولى فلا أجد رفيقاً احدثه بما بين جوانحى من الاوجاع والتأملات أو صديقاً يشاركنى فى اصدق العواطف والاحساسات

أكل الدهر على وشرب وتطاولت الاعوام والاجيال وانا ما زلت فى مكانى هذا لا أتحول ولا أتبدل . ان القوم هنا قدرونى حق قدرى وأغرقونى بطوفان من اعجابهم واعظامهم ثم احلونى صدر ميدانهم الفسيح ، لاحرك فى

نفوسهم كامن الفضول ورفعوا قامتى نحو العلاء لاشرف عليهم من سماء مجدى وخيلائى . فما اكثر القادمين لزيارتى فى هذا المكان ! وماأشد اعجاب الملتفين حولى ، المتحدثين بشأنى !!

ينظر القوم الى وانا فى مكانى هذا ، وسط هذا الميدان العظيم الممدود من اكبر مشاهد هذه العاصمة التى هى مهبط أنوار المدنية الحديثه ، نظرهم الى نقطة تصل مدنية الازمنة القديمة بالرقى الحديث .

لا غرو ولا عجب فان هيأتي الشرقية من اكبر الدوافع على جذب الانظار ، فهم يعلمون بأننى أثر من آثار العصور السالفة واحدى بقايا تلك العظمة الفرعونية الجليلة الشأن فلا تكاد عيونهم تقع على حتى يتركون ماحولى من التماثيل والهياكل الحديثة المحيطة بي ، ويقتربون منى ليقرأوا على وجهى تاريخ أيامى الاولى . أنا الآن تحت اسرهم وفى قبضة يدهم ، فهم يعتزون بى ويفاخرون بوجودى بينهم لجليل قدرى فى الأيام السالفة ولمكانتى السامية

بين وقائع العصور الخالية . ولكن مع هذا الاعتبار والاحترام ورغم كل هذا الاعزاز والا كرام فأنا لا أزال حتى يومى هذا اعانى آلام الوحدة واوجاع الانفراد . »

عندما وصلت المسلة الى هذا الحد من القول كان النهار قد بلغ غايته وأذن بالأفول ، آخذاً أهبتـه لوداع سلطنته الى الغد ، وكانت أنوار الشمس القرمزية قد اغرقت كل ما في الميدان بطوفان من الالوان المتعددة وانعكست عليها سهام الأشعة الذهبية الصادرة من السماء حتى خيل لى أنها تلتهب بالسنة النيران .

تركتني هـذه الأنات والآهات فى حيرة شديدة وجعلتني أشعر بأنني امام لغز غريب تعجز العقول عن ادراك كنهه وقد هالنى الامر حتى وقفت متعجبة انتظر نهـاية هذه الشكاوى المتجسدة والآلام المفزعة

اشتـد اذ ذاك احمرار الغروب فازداد توهج الكـتابات المسطورة على المسـلة والحيـوانات المرسومـة عليها حتى ظهرت للأعيان أجلى وأوضح كأنما قد لبست ثوب الحس

والحياة ، ثم سمعت بعد ذلك شبه غمغمة آتية من بعيد فانصت فاذا هي تقول : « بلى ما أنا في هذا الوسط سوى موضع الاستغراب والدهشة ، وقليل اولئك الذين يعلمون أمري تماما ويعرفون أصلي ومنشأي وشأني حق العرفان . ولذا فأنا أعد نفسي في هذه العاصمة الكبرى وحيدة لا حول لي ولا قوة . تحتاط بي أنواع شتى من البهارج والزخارف إلا أنني لا أحفل بها ولا أجد لها طعما . فكل أنواع الحركة وضروب السرعة والدبدبة تهز أساسي وتضعف متانتي وتوقعني في دهشة وارتباك لأنني لم أعتد على هذا النوع من العيش المضطرب وانما كانت نشأتي في وسط هادئ تحف به آيات الجلال والسكون . فأنا اليوم أقطع مراحل حياتي بلا أمل ، فأحس وأتألم ولكن بدون لذة أو هناءة ، فلا شاغل لي سوى عد سلسلة الأيام التي تمر بي ، ولا يغرنك ارتفاعي فأنا متواضعة مع ما ترينه من طول قامتي »

كانت تصل هذه التألمات الى سمعي فيزداد بي الحزن

والأسف اذ كانت تعوزنى شجاعة كبيرة لسماع هذه
الشكاوى والآلام .

واستمرت فى حديثها تقول : « وقعت فريسة المرض منذ
سنين عديدة وأصبحت اقاسى من جرائه آلاما نفسية
شديده ، فأنا اليوم اقاسي كل أحوال الموت ولا يلحقني
الفناء . انا أعلم الدواء الناجع لدائي ولكن هيهات فأين أنا
منه الآن سوف أظل أتجرع كؤوس المتاعب والاشجان
الى أن يلحقنى البلى والدمار ، لأن داء الشوق لرؤية الأهل
دواؤه الناجع ملاقاة الوطن ولكن آه . . . »

وما كادت تتم كلماتها هذه حتى ارتجت بنا الارض على أثر
مرور احدى وسائل النقل السريعة من جانبنا ، أعني سيارة
ضخمة أحدث مرورها تزلزلاً فى الارض حال دون سماع بقية
كلماتها .

ثم نظرت حولى فرأيت كل شئ يؤذن بدخول ليل فاتر
يحف به موكب من النسيم العليل تهتز لرقته دقائق الأثير ،
ثم رميت بطرفى الى القبة الزرقاء فاذا (الزهرة) ، تلك

النجمة الساطعة، زينة السماء وأبهى عرائسها ، قدظهرت وابتدأت ترسل ابتساماتها الجذابة لبقية الكواكب التى اخذت تستعد لرد تحيتها .

كنت أرى العربات والسيارات وجماعات المشاة يهرولون جميعاً بسرعة زائدة نحو غابة باريس ، ليلتجئوا فى حمى خضرتها المملوءة بالأسرار والأعاجيب ، مؤملين وجود السعادة بين أحضان تلك البقعة الزمرديه .

نظرت ثانية الى المسلة فاذا هى غارقة فى لجة عميقة من التأمل والتفكير ، بعيدة كل البعد عن الضجيج المحيط بها فأخذت أهبئ للسير فما كدت اتحرك حتى سمعتها تقول :

« بربك قفى وانصتى قليلاً لحديثى »

فعجبت من ذلك أشد العجب ووقفت مبهوتة أقول فى نفسى : ما أعجب ذلك ، إنها كانت شاعرة بأنى كنت صاغية لشكاتها فلم يكن شكواها الى مجرد هذيان . فأعرتها سمعى وانتباهى لأعى ماتقول تماما فاذا بها تقول :

« أناشدك المروءة ألاّ تذهبى لانه عندى ما أقوله لك فهاءنذا

أرى فى عينيك الرغبة فى سماع شكاتى وأشجانى وأشعر بأنك تشاركيني فيها بقلبك وسمعك . فاصبرى لم يبق الا القليل ولا تمضى برهة صغيرة حتى أفيض بمكنونات صدرى فى قلبك الرقيق كما يفيض النيل على شاطئيه. فكونى أنيسة روحى ولو لمدة وجيزة واشفقى علىّ لاجل الذكريات القديمة . ثم ارحمينى لآلام الغربة التى أنوء بحملها الآن. مضت علىّ مدة مديدة لم أشكُ بآلامى لانسان ما وما كدت أراكِ حتي انتهزت هذه الفرصة لافراغ ما في النفس من الآلام والآمال . وها أنت الآن صاغية فشكراً لك . . . . آه ما ألذ أن تدار كؤوس الحديث والمسامرة بين قلبين متآلفين ! حدثيني بربك عن الاوطان وخبرينى عن اخواتي المسلات الاخرى الباقيات هناك ، تلك البقية الباقية من آثار السلف الدالة على التفنن والابداع هل بقين مثلى في متانتهن ورواتهن حتى اليوم . انى مازلت أحفظ لهن حباً كامناً فى صدرى وأتذكر حسن جيرتهن وجميل عشرتهن. إن قلبي صخرى متين وكذلك

حافظتي قوية لا تنسى شيئا يمر بها . فان انا نسيت فلا أنسى تلك الصحارى الذهبية والليالى المقمرة الفضية . آه أين أنت الآن ايها النيل العذب ؟ كم أنا مشتاقة لمنظر جريانك الجميل ورؤيا القلوع البيضاء التى تحرك المراكب السائرة بين شاطئيك ! إن مناظر الغروب الجميلة لا تزال مرسومة على لوح الخاطر وسحر تلك الليالى الحارة الجذابة لا يمكن نسيانها أبد الدهر .

ثم تضاءل صوتها بعد ذلك حتى أصبح غير مسموع الا انى أجهدت نفسى فسمعتها تقول :

«اذهبي الآن غير مأجورة يا أنيسة روحى فى هذه الليلة واتركينى لهمومى وأشواقى واذا ما عدت الى الاوطان فاذكرينى عند أهلى ودعيهم لا ينسونى أنا المسكينة المنفية الى صميم هذا الميدان الفخم فى وسط هذه العاصمة الكبرى واخبريهم بأنى على استعداد لأن أفدى كل هذه البهارج والزخارف تلقاء ساعة واحدة أجد فيها نفسى بين أحضان تربتى الاولى ....»

وقد أثرت في كلماتها الأخيرة أيما تأثير ونفذت الى أعماق قلبي كأنها سهام نارية فجمدت فى مكاني مبهوتة حيرى ولم أتحرك إلا أثر سماعى أصوات بعض القادمين لزيارتها حيث سمعت بعضهم يقول :

«ما أعجب أمر هذه المسلة وما أبهى منظرها فى الليل! انظروا الى الكتابات المنقوشة عليها كيف تتوهج كالتبر ثم انظروا الى جلال قامتها وامتزاج شكلها وائتلافه بهذا الميدان العظيم

يقولون انها من أقدم الآثار وأجلها شأنا . بارك الله في همة (لويس فيليب) ناقلها الى باريس ، فقد تجشم فى سبيل ذلك كثيراً من النفقات والمتاعب . آه انظروا الى عيون الطيور المرسومة عليها كيف تنظر الينا ببرود واحتقار ولولا يقيني بأنها صور لا تحس ولا تشعر لخيل لى أن مناقيرها الحادة تمتد الينا بالأذى . حقاً إن الانسان لا يتمالك نفسه من ابتسامة يرسلها فى الفضاء عندما يرى هيأتها . ان لهذه المسلة شخصية غريبة فى وسط هذا الميدان

الحديث فهى قصيدة شعرية بقيت لنا منذ الأزل ، بل أسطورة تاريخيه تحدثنا ، نحن الواقفين على أسرارها المطلعين على خفاياها ، بوقائع الأزمنة السالفة فلتحي مسلة باريس المصرية وهي موضع الدهشة والاستغراب بطيورها ورموزها ولتدم سنين عديدة فى مكانها تلهب فى النفوس نيران الغيظ والحسد بقدها المائس »

وعندما فتحت عينى ونظرت فيما حولى كان الصباح قد لاح وكانت الغزالة ترسل أشعتها الاولى من خلال النافذة الى غرفتى . فما أغرب هذا الحلم !

باريس ١٩ اغسطس سنة ١٩١١

السحب والاحساس

الى الاديبة الفاضلة خالدة هانم

« معربه بتصرف »

قتام المساء كان يسدل على الأثير ستار الابهام والغموض .
وهاهو الفضاء أخذت الحركة تظهر في أرجائه ، بعد ان ظل طول يومه باهت اللون جامداً .
وهاهي الالوان الفاترة . والاشكال اللطيفة ، المستترة في طيات السماء بدأت تظهر في لباس مختلف من الصور والاشكال ، حتى ليخيل للناظر أن هنالك رساماً خفياً يظهر بريشته الساحرة شخصية تلك السحب اللطيفة التي كانت لا تستقر على حال .
كان بعض هذه السحب لا يكاد يأخذ لنفسه شكلاً مخصوصاً حتى تنحل أجزاؤه وتتناثر أقسامه في أطراف الجو والبعض الآخر كان ينمو ويكبر الى أن يشف فيصعد

محلقاً فى طبقات الجو حتى يغيب عن الأبصار .

ما أشبه سطح هذه السحب بالأمانى العذبة والآمال الذهبية الواهية ! ! وما أبهج شكل هذه اللوحة الحمراء أعنى صفحة السماء وقت الغروب !

إن جماع هـذه المناظر المعنوية لتذكرنا على الدوام بدقائق العمر الفانيه ، تلك الدقائق اللذيذة المملوءة بالأشواق

ما السحب إلا كتاب يحوى بين دفتيـه صوراً شتى من المشاعر والاحساسات ، فبعض السحب تمثل بسرعتهـا وخفتهـا الانفاس المتقطعة وبعضها جميـلة الشكل وسيمة الصورة كالآمال الحلوة . والبعض الآخر خلابة المنظر كالرغبات العذبة . . . . !

ان هذه اللعب الخفيفة المزينة ذات الالوان المتعددة والمشرفة علينا من السماء لتمر وتنقضى كازمان السعادة والصفاء

فها هى الآمال والرغبات والانفاس وها كم الحوادث القديمة والذكريات الماضيـة ؛ متجسدة فى شخص هذه السحب الملتفة بأردية بيضاء ناصعة كالزنابق وحمراء قانية كالشقيق ،

وكنت أرى نسيم المغرب يدفعها جميعا الى الأمام فتنساق ممتزجة ببعض ، متـدافعة تدافع الاحساسات الغارقة في أمواج خضم الحياة .

إن السحب لتمر وتغدو كالاحساسات فيقف الانسان أمامها مفتوناً بالماضي مأخوذ اللب بالحاضر وما أشد سعادته المعنوية وهو يراقبها ويناجيها فى تلك الحالة حينما تتمثل له أيامه الماضية متجسدة داخل ألوانها الزاهية فيتذكر ساعات السرور والاشواق ــــ وأوجاع الماضي وتأملاته ! !

هذه الاجسام المتماوجة المبرقشة المطلة على الاكوان من سرفتها العاليـة تحتاك بها الوان الفجر الملتهب وأضواء الشفق المذهب تلك الانوار التى نراها على مد البصر فتشتد بهجتها ويزداد بهاؤها كأنما جمعت فى نفسها كل ما فى الشرق والغرب من لطافة وملاحة إلا أنها قلما تظل على حالة واحده فانها لا تكـاد تتجلى فى عدة أثواب مختلفة من الزينة والبهرجة حتى تغيب عن الانظار .

وكنت كلما راقبت سير هذه السحب وتأملت ملياً

فى معانيها الخفية تمتلىء جوانحى بالغبطة والسرور ويخيل لى
أنى عائدة من حفلة سمر معقودة فى قبة السماء لأن النظر
الى هذه السحب الشفافة المنعكس عليها خيالات النفس
وآمالها وأمانيهـا يأخذ بيـدى الى عرش العواطف العلوية
وقمة الخيالات السامية حيث يكون المرء بعيداً عن مشاغل
وسفاسف هذا العالم المادى وإن الاشتراك بالحس مع هذه
السحب والاتصال بها فكراً لمما يبعث الراحة والطمأنينة
الى قرارة النفوس المتعبة .

إن لحظة واحدة يقضيها الانسان مبتهجا برؤية قوافل
هذه السحب التى تمر فى ثياب مختلف من الاضواء والالوان
لتكفى لتنقيـة الأمزجة من شوائبها وتأخذ بيد المرء الى
الغوص في نعومة الاحلام السارة .

فلو أننا فكرنا فى قيمة الايام الزاهية التى تأخذ بيدنا
الى موارد [illegible] وفى الرأسمال المعنوى التى تهبه [illegible]
الليالى المنيرة [illegible] كنا نشكر السحب التي هى المثل الاعلى
والدافع الأقوى لانجاز أمانينا الروحية والتى هى [illegible]

في ظهور آمالنا وأحلامنا بمظهر بهيج ودواء حسن !!

ذلك لان كل احساسات العالم تتجسم فى اعماق السحب حين تشكلها وزوالها .

﴿ خاتمه ﴾

الرسالة الأخيرة مهداة الى أشهر أديبات الترك فى عصرنا الحاضر ولما كنت فى ترجمة هذه المقالات وغيرها من الرسائل المكتوبة بقلم صاحبة السمو أميرتنا الجليلة أرمى الى الوساطة فى تمكين المعرفة بين الأدبين التركى والعربى قدر الامكان فانى لا أجد مندوحة من ختم هذا الكتاب بترجمة حياة الأديبة خالدة هانم سالفة الذكر نقلاً عن مجلة الهلال الغراء التى طالما أفسحت صدرها للمواضيع الدالة على النهضة النسائية بعصر . المعرب

الهلال جزء ١ سنة ٢٩ :

﴿ خالدة هانم ﴾

« أول امرأه تقلدت منصب الوزاره »

لئن حق للشرقيين ان يفاخروا أهل الغرب بمن نبغ

من رجالهم فاحق بهم وأولى ان يفاخروهم بنبوغ نسائهم ففي الشرق اليوم امرأة نابغة جمعت من السجايا والمواهب ما قلما يتفق للنوابغ رجالاً كانوا أونساء — وهي خالدة هانم التركيه التي نالت بين أبناء جلدتها بفضل جرأتها وصدق عزيمتها وتوقد وطنيتها مقاماً هو غاية ما يصبو اليه الانسان بين قومه . وهي اليوم ركن من أركان الحركة الوطنيـة في تركيا وقـد أسـندت اليها وزارة المعارف في الحكومة التركيـة التي أنشأها الوطنيون في الأناضول ولم نسمع باسناد منصب رفيع كهذا لامرأة قبلها

ولا يزال السوريون عموماً والبيروتيون خصوصاً يتحدثون باعجاب عن تلك المرأة التركية الجريئة التي قدمت الى بلادهم أثناء الحرب الأخيرة بمهمة فتح المدارس وانشاء ملاجئ للأيتام والفقراء فقـد كانت خالدة هانم تسير مع زميلاتها في شوارع بيروت سافرة الوجه وعلامات العمل والنشاط بادية عليها ولم يكن للبيروتيين عهد بتلك الجرأة والحرية في المرأة المسلمة فأصبحت مدار حديث الأهالي

وموضع اعجابهم وقدوة لـكثيرات من أخواتها المسلمات

وقـد فتحت خالدة هانم أبواب المدارس الفرنسيه المقفلة وجعلتها مدارس أهلية وطنية شعارها الاتحاد والوئام ونبذ فـكرة التعصب وكذلك أنشأت الملاجئ للأيتام والفقراء

ولدت خالدة هانم من والدين متوسطى الحال وكان والدها سكرتيراً فى دائرة الخزنة السلطانيه الخاصه وقد بدت على خالدة هانم منذ أول حداثتها بوادر الذكاء والفطنة وكانت تظهر رغبة فى المطالعة وميـلاً للتبحر فى العلوم والآداب ولم يكن يؤذن للبنات الوطنيات فى ذلك العهد بدخول المدارس الأجنبية ولم تكن المدارس الوطنية لتفى بالحاجة . فتوسل والدها الى السلطان عبد الحميد أن يأذن لابنته بدخول الكلية الأمريكية فى الاستانة فأذن له فدخلتها ولم يمض زمن على ذلك حتى برزت على أقرانها وتخرجت سنة ١٩٠١ بكالوريوس علوم وهى فى الغالب أول امرأة مسلمة نالت هذا اللقب

قلنا إن خالدة هانم برعت فى جميع العلوم إلا أن الهندسة كانت حجر عثرة فى سبيل تقدمها فأحضر لها والدها استاذاً خاصاً من أساتذة الجامعة السلطانيه ليلقنها فى المنزل ما أشكل عليها فهمه من هذا العلم فلم يلبث بعد زمن أن علق بها فخطبها من والدها ثم اقترن بها عن رضاها وهى لا تعلم أن لزوجها امرأة وأولاداً فى باريس على انها لم تكن لتجد لها خلاصاً من تلك الحالة فاضطرت الى ملازمة خدرها فكانت تصرف الأيام والليالى فى مطالعة ماحوته مكتبة زوجها من التآليف النفيسه ولا سيما الفرنسية منها فكان لما طالعته تأثير شديد فى نفسها الكبيرة فلم تزدها هذه المعيشة الهادئة إلا رغبة فى العمل واتساعاً فى المطامع ولم تلبث أن سنحت لها الفرصة المنشودة إذ طلقت زوجها وأصبحت حرة فى تكريس حياتها للجد والعمل وكان ذلك قبل اعلان الدستور فى تركيا

فلما اعلن الدستور واطلقت الحرية للأفكار والمطبوعات نشرت خالدة هانم قصيدة حماسية تخاطب فيها رجال الفرقة .

الرابعة (وهى التى تم على يدها قلب الحكومة الاستبداديه) بلسان مؤسس الدولة العثمانية

فكان لقصيدتها وقع عظيم فى النفوس فعرفها الناس وانتشر اسمها بين الجميع ثم جعلت تنشر فى الصحف روايات اجتماعية كانت قد ألفتها فى زمن تقييد المطبوعات فصار الناس يطالعون كتاباتها بلهفة وشوق ولكنها لم تقتصر على ذلك بل جعلت تنشر فى (طنين) مقالات اجتماعية سياسية فاشتهرت بسداد الرأى واعتدال الهمه

وكانت خالدة هانم تجتمع دائماً برجال تركيا الفتاة ولا سيما أنور وطلعت وجمال فتبدى لهم رأيها فى شؤون الدولة وهم لايستنكفون من الاصغاء اليها والعمل بآرائها . ولما قلب عبد الحميد الحكومة الدستورية سنة ١٩٠٩ ورد اسمها فى قائمة المحكوم عليهم بالاعدام فاضطرت الى الفرار حرصاً على حياتها فشخصت الى القطر المصرى ومكثت فيه الى أن استعاد الوطنيون سلطتهم

وقد تغير مركز المرأة فى تركيا بعد اعلان الدستور

تغييراً عظيماً . فأصبحت ترفع صوتها الضعيف على المنابر
وتسعى لرفع شأنها بانشاء الأندية والجمعيات الى غير ذلك.
من دلائل النهوض ومعظم الفضل فيما تم من هـذا القبيل
عائداً الى خالدة هانم . وقد تدرجت المرأة التركية فى سلم
الرقي حتى أصبحت تعنى بالشؤون الوطنية والمسائل السياسية
ولما نشبت الحرب البلقانيـة انخرطت كثيرات من النساء
فى سلك جمعيـة الهـلال الأحمر وجعلن يكتبن ويخطبن
ويحرضن على الجهاد فى سبيل الوطن . وقد احتشد منهن
يوماً عـدد غفير يربو على خمسة آلاف فى دار الجـامعه
السلطانيه فوقفت خالدة هانم تخطب فيهن بحماس عظيم
فكان لكلامها أشد وقع فى نفوس السامعات . ولما فرغت
من خطابها كان العرق يتصبب من جبينها من شدة التأثر
والانفعال فنزعت مصاغاتها الثمينة والقت بها فى صندوق
أمامها لاعانة الوطن فاقتدت بها سائر النساء وجعلن
الواحدة بعد الاخرى يقدمن حليهن لهذه الغاية الشريفه

(غلطات مطبعيه وقعت أثناء الطبع)

صحيفة	سطر	الغلطة	صوابه
١٤	١١	الباطل	البطل
١٥	٢	فانتعشت	فانتمشت
٢٠	١٥	الأحزاء	الاجزء
٢٩	٢	أبيصة	ايبعنه
٣٤	٧	أعيننا	نصب أعينا
٣٥	٦	معوحه	معوجا
٤١	٤	ارتفيت	ارتقيت
٥٧	٢	تابا	تايا
٥٨	٩	تابا	تاي
٧٥	١٢	احواتى	خواتى

﴿ محتويات الكتاب ﴾

صفحة

كلمة المعرب	٣
النور	١٠
حديقه ساحرة	٢٦
السلطان الغورى	٣٠
الغروب	٤٠
حب الوطن من الايمان	٥١
قصر الأموات	٥:
تأوهات مسلة	٦٩
السحاب والاحساس	٧٩
خاتمة	٨٤

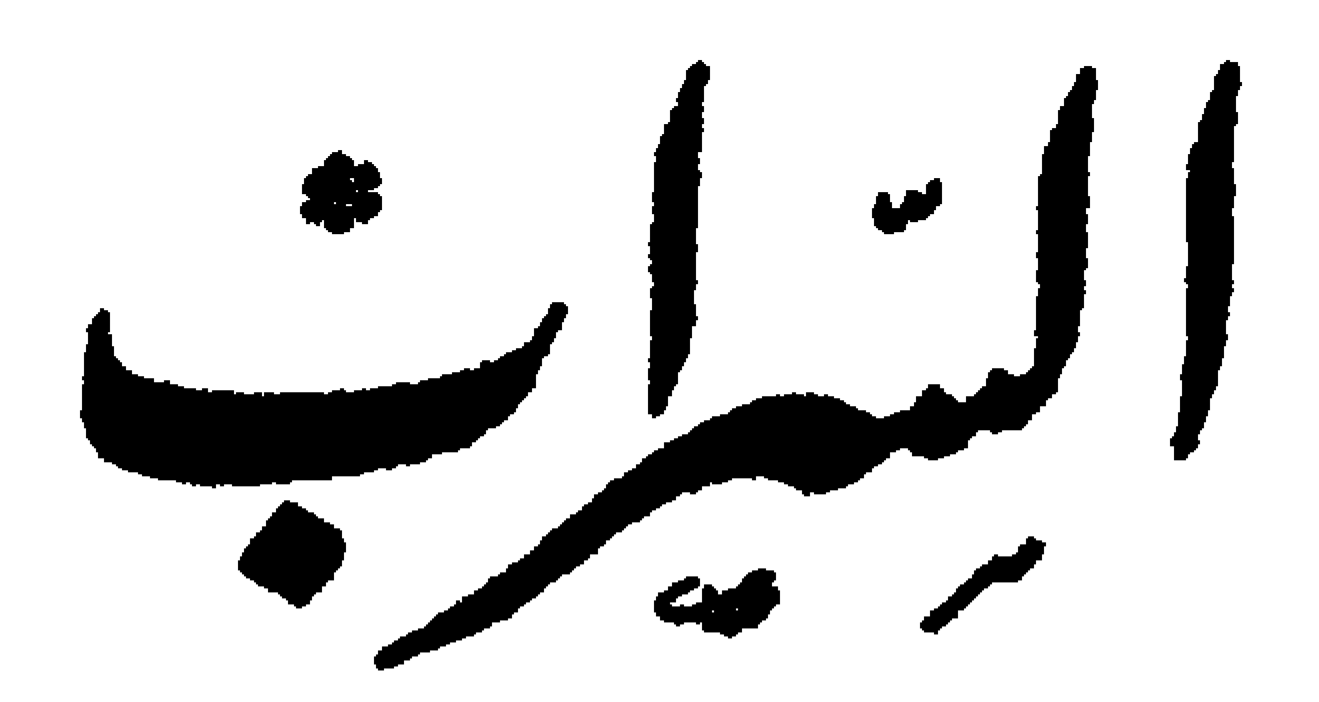
كتب أخرى للمؤلف

خواطر الأميرة

« لصاحبة السمو الأميرة الجليلة قدرية حسين كريمة سلطان مصر الأول مقام رفيع فى عالم الانشاء باللغة التركية نظماً ونثراً وقد جمعت بين تخيل الشعراء وحكمة الفلاسفة وبلاغة مشاهير المنشئين وأمامنا الآن خواطر فلسفية نظمتها باللغة التركية ونقلها منها الى العربية حضرة « عبد العزيز افندى أمين الخانجى » وهى فى مو[illegible] كالحرية والوطن والمعاونة والتشكر والفضيلة والارادة والمرأة والرحمة والقلب والانسان والمال والحياة وما أشبه وفى كل موضوع منها طائفة من الأقوال [illegible] من جوامع الكلم لم نر فى كل ما وقفنا عليه [illegible]

الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ما هو أبلغ منها أو أجمع ونود أن تكون هذه الخواطر في يد كل تلميذ وتلميذة »

المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٢٠



﴿ طريف التأليف ﴾

« للأميرة الجليلة قدرية حسين آثار أدبية خالدة مافرق للناطقين بالضاد عن أثر منها إلا أشرف عليهم من موقع المنى وكان للضاد مادة غنى

ومن أنفس هذه الآثار وأجلها خطراً وأدلها على نباغة الأميرة المصرية الجليلة كتاب السراب . وقد أهديت الينا نسخة منه فسبرناه عبرة فاذا ثم فكر جواب واذا خيال يحلق في جو من الابداع واذا الكتاب في جملته وتفصيله شعر منثور .

لقد تناولت الأميرة الكاتبة موضوعات عدة هي الأمل والخلود وخداع الظواهر والآثار والاحساس والتقليد والسمو والحوادث وبلاغة السكوت والا[illegible] وكان كل موضوع منها مثلاً فى حسن التخيل وهو ماده الشعر بل كان كل منها أسلوباً قائماً بنفسه فى بلاغة التصوير . كذلك رأينا الكتاب وذلك ما لا نستقله ولا نستكثره عليها » — الأخبار فى ١٩ يونيه سنة ١٩٢٠

كيف تكون روحى

نقلاً عن المقدمة التى تفضل بوضعها حضرة [illegible] الاجتماعى القدير مدير جريدة [illegible] :

« وصف عبد العزيز فى هذه الرسالة حياة [illegible] وحياة المتزوج وصور الآمال التى تجول فى نفوس [illegible] من ناحية الزواج ، و[illegible] [illegible] و [illegible] التى

يجب توافرها فى الزواج ليكون زواجاً سليماً من العيوب التى
تقلب جنته جحيما وبين كذلك العوامل التى تحيط بالشاب
عند ما يبلغ من الشباب من ناحية والدته التى يطمئن لها بال
حتى ترى ابنها رب بيت وصاحب وزجة ثم ندد ببعض
العادات العتيقة غير الصالحة بطريق لطيفة تصور للقارئ
مافى الجمود على هذه العادات من المضار . فاذا أنا قدمت
للقراء هذه الرسالة القيمة فانما أقدم لهم — وأنا مغتبط —
ثمرة ناضجة من ثمرات رأس شاب مفكر ، غيور على مساعدة
قومه ، منهمك فى العمل لتحقيقها . وانى لأرجو ان يبذل
الشبان فى قراءة هذه الرسالة من العناية مابذله مؤلفها الاديب
فى وضعها ، فيتحقق بذلك الغرض السامى الذى وضعها من
أجله وفق الله شبابنا للعمل الصالح لهم ولقومهم أجمعين »

عبد الحميد حمدى

مدير جريدة السفور